ردود ضارمة
على من ضعف أحاديث الشيخين الثابتة

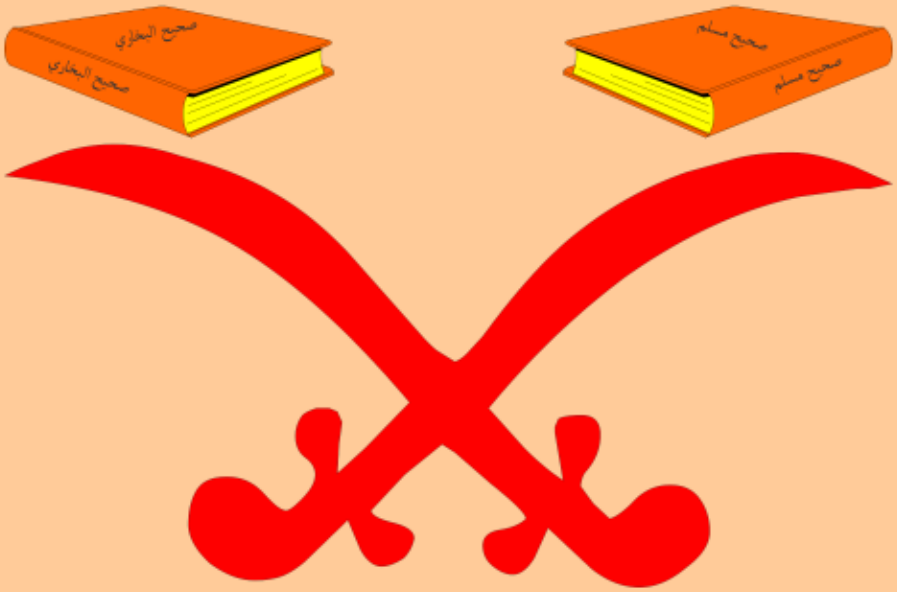

إعداد الطالب: رفقي بن صادقين

تحت إشراف

الأستاذ فوزالرحمن بن محمد عثمان (البهجي)

كلية ابن عباس العربية

جالي-سريلانكا

١٤٣١ هـ

2010 م

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونتوب إليه، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

قال الله تعالى:(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى)(1) وقال أيضا:(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).(2) فالله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الحكيم تبصرة وذكرى لمن ألقى السمع إليه، وأبدى معانيه وعجائبه ومكارمه بلسان نبيه الكريم، في فترة كانت العرب قد اندلعت العبادة الوثنية فيهم وسادها الحمق العميق، وزلت قدماها في قعر الظلام والجهل الذي أشربت فيه الحمية الجاهلية. فاتسمت على شفا حفرة من النيران اذ انبعث من بطحاء مكة صوت قوي رهيب يقول" لا إله الا الله" كان ذلك الصوت الداوي صوت محمد صلى الله عليه وسلم الذي اختاره الله ليهدي العقول الحائرة إلى نور الإيمان بالسنة الصحيحة فهو النبي الأمي خاتم الرسل أجمعين أعطي على يده التي وصفت بألين من الديباج القرآن إرشادا وهداية لمن حارب الله ورسوله أرباع الساحة العربية. فكتابه– جل وعلا– لا يزال يحل محل العظم والإحترام كما تبوئت السنة في قلوب المسلمين. فالقرآن هو المصدر الأساسي من مصدري الإسلام الذي لابد منه، منقذ البشر، مستوفي الحقوق، مرشد الأمة إلى مافيه نجاح المتين. والمصدر الثاني هو سنة النبي صلى الله صلى الله فهي التي تبين القرآن وتفسره حيث قال الإمام أحمد بن حنبل:(إن السنة تفسر القرآن وتبينه) وتوضح المجمل وتقيد المطلق ويخصص العام وحمل بها صاحب الرسالة على البدع والشرك والعقائد الوثنية. فلا خلاف بين أهل السنة والجماعة بل عند المسلمين قاطبة، أن من جحدها يخرج من الملة الحنيفية السمحة، فمنزلتها أعلى رتبة بعد القرآن لا يرفض حجيتها الا من ليس له حظ من الدين فإنه لم يخالف في الإحتجاج بالسنة الا

الخوارج والروافض الذين تمسكوا بظاهر القرآن وأهملوا السنن فضلوا وأضلوا وحادوا عن الصراط المستقيم. فتكاثفت الأدلة القرآنية والأحاديث الجادة، تدل على وجوب التمسك بها حيث قال تعالى:(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)(3) فتركنا صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها الا هالك ليلها كنهارها، وبمعناه وقع قوله صلى الله عليه وسلم:(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله).(4)

فهذا... من أسمى نعم الله التي أمطر شؤبيها علي أن التحقت بهذه الكلية التي ارتفعت قوائمها النيرة في الجنوب وبسط جناحيها عليه فتتمثل مهد الأسلاف ودار الأحناف ومنبع العلوم الشرعية الذي نهل منه الأفاضل على أيدي الأساتذة الذين عايشوا البدع والخرافات واتسموا أرقاما في نشر السنة على أحسن وجه في ضوء الكتاب والسنة– أدام الله مسيرتهم الدعوية– هم الذين اطلعوا على الشر وميزوا منه الحق فسلكوا عليه بعد أن هداهم الله إلى صراطه الذي لاعوج فيه ولاتناقض. فظلوا أهلها.

وإني منذ التحقت بهذه الكلية لاأزال أتروي من موردها المتظلع من أنواع المياه من عذبها وفراتها وأجاجها، حتى إني إذ كنت في السنة السابعة كان لزاما علي تقديم بحث يناسب بضاعتي العلمية لنيل شهادة "مولوي" فاخترت موضوع "حكم الأحاديث الصحيحة المعارضة ظاهرا والجواب عليها" على الرغم أنه إلمامي بهذا الموضوع ضئيل، لحماستي الجدية ولذوقي الحلوي ونظرا إلى أهميته. فأسأل الله أن يكتب لي فيما اخترته التوفيق والسداد وأن يلهمنا الرشد والصواب.

أسباب اختيار الموضوع :

أ– أهمية السنة الطاهرة في ميزان الإسلام وتطرقها إلى التشويه والإحتقار بين ألسنة المستشرقين وأذنابهم الذين تحاكموا في قبول الحديث إلى العقل الضعيف، وطرحوا ضد

الإسلام أسئلة تعيبه وتذله من كل الوجوه. ويظن من ليس له حظ وافر من الدين وجود النقصان والتعارض في الدين الحنيفي الذي لاعوج فيه ولا التناقض.

ب- إمتلاء قلوب عامة المسلمين بالمجاهيل تسلطت عليها وشغفهم العميق الذي لايرى قعره في تساهل قبول الحديث لاسيما من يسمي نفسه بأهل السنة والجماعة وقد تقاعسوا عن مراعات سلوك السلف وماهم عليه من الخطر الشديد.

ج- المفاهيم الواهية والفتاوى الجاهلة وشبه ضالة حول رد الأحاديث الجادة ، فألقيت على عنقي ربقة الغيرة لتصفية تلك الشبه والقضاء عليها قضاء نهائيا والرد على استدلالاتهم الظنية، استمالوا بها نفوسا خالية.

د- ضراوتي البالغة وشغفي الصميم له تعلق بشغاف قلبي منذ أيام ترد فيها على سمعي صيحات السلف في حفظ السنة من شوائب الإستشراق وتبليغها إلى الأمة الإسلامية نقية تهضم قلوبهم.

هـ- استجداد المسائل الواهية حول الأحاديث النيرة يوما بعد يوم لاتتصدى الكتب القديمة المتكلمة في الموضوع للجواب عنها، فلمستني الحاجة الماسة إلى تحرير هذا البحث يغمر الجواب عنها.

و- إهمال الخرجيين بعد إتمام المنهج الدراسي اختيار هذا الموضوع له تعلق سام بالأمة المحمدية من حيث حفظها، رغم كونها معروضا عليهم منذ سنين.

هذا وقد قسمت مادة بحثي إلى أربعة أبواب: فتناول الباب الأول : ترجمة الشيخين البخاري ومسلم- رحمهما الله- وحياتهما الفذية في تاريخ الحديث، مع سرد الفضائل الواردة لكتابيهما، وبيان تدوين الأحاديث في تلك العصور، وسرد الحديث الذي يحتج به من ينكر الأحاديث الثابتة والجواب عليها. واشتمل الباب الثاني: على الكلام في الأحاديث المردودة في عصرهما مع سرد الإجابة عنها إجابة تروي الغليل وتشفي العليل. والباب الثالث :اشتمل عليها في عصرنا هذا. وألحقت بالأخير مسألة هاما تتعلق بحكم من يرد الأحاديث بمجرد العقل الضعيف على النصوص الواردة. وختمت بحثي هذا بخاتمة ذكرت فيه أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذا البحث.

كما أعددت الفهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وللمراجع والمصادر التي اعتمدت عليها ولترجمة الأعلام الذين تكرر ذكرهم في البحث ومحتويات البحث.

ولست منسيا في هذا المقام لتقديم شكري لله المنان ثم للأستاذ الشيخ الفاضل نائب الكلية فوز الرحمن بن محمد عثمان- حفظهما الله-(البهجي) الذي تولى الإشراف على بحثي والمكاتفة علي، حيث يوجهني إلى المسلك الصحيح في حين وقوع قلبي في بئر السئامة ، واستفرغ مجهوده الطائل تجاه هذا الطالب الفقير، مهما أنه مشغول بالمهام الأخرى، كما أقدم جزالة الشكر لمدير هذه الكلية أبي محمد دين الحسن بن وهاب الدين على توليه مسؤولية توعية البحث على وجه متكامل، وأيضا أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث الصغير على مايرام.

وفي مسك الختام، هذا جهد من يعتري للخطأ والصواب، فما كان من خطأ فهو من الشيطان وماكان من صواب فهو من الرحمن، وأطلب كل من عثر على هفوة أن يصححها، وأن يشير إليها بكل تواضع. فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي.

أخوكم الطالب

رفقي بن صادقين.

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة:

خطة البحث

تشفي المتداوي بأحاديث مسلم والبخاري.

مقدمة

تحتوي على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة:

الباب الأول: السنة النبوية في التشريع وفيه أربعة فصول:-

الفصل الأول:تدوين السنة.

الفصل الثاني: تعريف بالإمام البخاري وصحيحه.

الفصل الثالث: تعريف بالإمام مسلم وصحيحه.

الفصل الرابع: احتجاج من يرد الحديث والجواب عليها.

الباب الثاني: انكار أحاديث البخاري ومسلم في عصرهما. والجواب عليها:-

الحديث الأول: سألت عثمان عن الرجل الذي يجامع أهله ولا يمني.....

الحديث الثاني: قصة الخثعمية.

الحديث الثالث: ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة.

الحديث الرابع: هذا من أهل النار.....

الحديث الخامس: نهى عن بيع الثمار.....

الحديث السادس: خطب النبي j فقال: إن الله خير عبدا بين الدنيا.....

الحديث السابع: كان النبي j يجمع بين قتلى أحد.....

الحديث الثامن: إذا صليت الصبح فطوفي على بعيرك.....

الحديث التاسع: عن عمرقال: اللهم أرزقني شهادة في بلدك.....

الحديث العاشر: دخل النبي j على بنت ملحان فتكأ عندها.....

الحديث الحادي عشر: حديث توبة كعب بن مالك.....

الحديث الثاني عشر: إذا مرض العبد أو سافر كتب الله.....

الحديث الثالث عشر: يلقى إبراهيم أباه آزر.....

الحديث الرابع عشر: رأيت موسى وعيسى وإبراهيم.....

الحديث الخامس عشر: كان في الإمم ناس محدثون.....

الحديث السادس عشر: قريش والأنصار وجهينة ومزينة .....

الحديث السابع عشر: إن ابني هذا سيد.....

الحديث الثامن عشر: سألت بن عمرو بن العاص بأشد شيئ صنعه المشركون بالنبي.....

الحديث التاسع عشر: خرجنا مع النبي j إلى خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا.....

الحديث العشرون: بعث رسول الله أباموسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن.....

الحديث الحادي والعشرون: عن أبي ذر يقسم قسما أن قوله:(هذان خصمان).....

الحديث الثاني والعشرون: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

الحديث الثالث والعشرون:إذهب ياأبا رافع إلى ابن عباس.....

الحديث الرابع والعشرون: ما تعدون من شهد بدرا فيكم.....

الحديث الخامس والعشرون:إذا كان يوم عيد خالف الطريق.....

الباب الثالث: انكار أحاديث البخاري ومسلم في عصرنا الحاضر.والجواب عليها:-

الحديث الأول: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.....

الحديث الثاني: حفظت عن رسول الله j الوكائين.....

الحديث الثالث: حديث الذباب.

الحديث الرابع: حديث السحر.

الحديث الخامس: حديث الإسراء والمعراج.
الحديث السادس: لاتشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد.....
الحديث السابع: حديث الجساسة.
الحديث الثامن: لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.....
الحديث التاسع: إن الله خلق آدم على صورته.....
الحديث العاشر: حديث الدواء بالعجوة.
الحديث الحادي عشر: أحاديث الدجال.
الحديث الثاني عشر: إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان.....
الحديث الثالث عشر: النيل والفرات وسيحان وجيحان.....
الحديث الرابع عشر: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها.....
الحديث الخامس عشر: حديث إرسال ملك الموت إلى موسى.
الحديث السادس عشر: حديث رضاع الكبير.
الحديث السابع عشر: حديث أم حرام بنت ملحان
المسألة: حكم من رد الحديث الصحيح.
الخاتمة.
* فهرس الآيات القرآنية.
* فهرس الأحاديث والأثار.
* فهرس الأعلام.
* فهرس المصادر والمراجع.
* فهرس الموضوعات.

الفصل الأول: عصر تدوين السنة مطلقا

لم يدون الحديث النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن ولم يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتبة يكتبونه كما اتخذ كتبة للقرآن الكريم يكتبون آياته عند نزوله.

لم يأذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة أن يكتبوا عنه غير القرآن في بدأ الأمر، فقد جاء في صحيح مسلم في كتاب الزهد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فاليتبوأ مقعده من النار)) (12). لقد كان ذلك النهي في بدء الأمر مخافة أن يختلط غير القرآن بالقرآن. وقد بين العلماء أن هذا النهي منسوخ بالأحاديث الآتية التي أجازت بكتابة الحديث، لأن القرآن الكريم كان قد حفظه الكثيرون من الصحابة وأمن النبي صلى الله عليه وسلم من الإختلاط بغيره ، كما أن النهي كان لأشخاص معينيين، وفي وقت معين أو في شيئ محدد.

صحف من الحديث كتبت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

(1) صحيفة علي رضي الله عنه:

أخرج الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه وفي باب فكاك الأسير، عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيئ من الوحي في كتاب الله؟ قال : والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما أعلمه الا في القرأن، وما في هذه

الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.(13)

وأخرج البخاري في باب إثم من عاهد ثم غدر من صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا القرآن، وما في هذه الصحيفة، قال النبي صلى الله عليه وسلم:(المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا، فمن أحدث حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف ومن والى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف.)(14)

وقد كان الإمام علي رضي الله عنه أحد كتاب الوحي، وقد قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأديم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يملي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه، وكانت لديه صحيفة عن رسول الله يحتفظ بها في قراب سيفه.

(2) كما كان الإمام علي رضي الله عنه يكتب الأحاديث في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتبها.

وجاء في أسد الغابة في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص قال: يا رسول الله أكتب ما أسمع منك أحاديث لا نحفظها، أفلا نكتبها؟ قال: بلى، فاكتبها.(15) وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(ما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب)(16) وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يكتب كلما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورواية البخاري

في إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص بكتابة الأحاديث وتسمى هذه الصحيفة،الصحيفة الصادقة.

يقول مجاهد: أتيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فتناولت صحيفة من تحت مفرشه، فمنعني، قلت: ما كنت تمنعني شيئا، قال: هذه الصادقة، هذه ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه أحد اذا سلمت لي هذه، وكتاب الله تعالى والوهط، فما أبالي ما كانت عليه الدنيا.

ويروي مجاهد أيضا عن عبد الله بن عمرو، قال: ما يرغبني في الحياة الا خصلتان: الصادقة، والوهط، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها.

(3) صحيفة أبي هريرة رضي الله عنه:

وقد أجمع أبو هريرة صحفا كثيرا مما كتبه الصحابة(تلفت غالبا) وروى عنه تلميذه همام بن منبه صحيفة منها، ثم نسبت إليه، فقيل صحيفة همام، وهي في الحقيقة صحيفة أبي هريرة لهمام، وروى عنه معمر. وكان لهذه الصحيفة أهمية خاصة في تدوين الأحاديث، وسماها صاحب كشف الظنون بالصحيفة الصحيحة، وهي برمتها في مسند أحمد بن حنبل من مسند أبي هريرة.(17)

وعرف عن ابن عباس أنه كتب الكثير من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته في ألواح كان يحملها معه في مجالس العلم، وكان تلميذه سعيد بن جبير يكتب عنه ما يملي عليه، وظلت صحيفة ابن عباس معروفة متداولة وتعاقب الناس على الرواية منها والإستشهاد بها في كتب التفاسير، وإن لم تنقل هذه الصحيفة.

وذكر العلماء نفرا من الصحابة الذين كتبوا الأحاديث سوى هؤلاء. وهذه الأخبار في مجموعها تدل على بدء كتابة السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم تكن كتابة جمع وتدوين. وقد ذكر الخطيب في تقيد العلم الخلاف في

الكتاب ونقل نصوص المنع ونصوص الإباحة من الأحاديث المرفوعة والموقوفة والأثار الواردة من التابعين وأتباع التابعين ومن أراد التفصيل فليرجع إلى ذلك.

كتابة الحديث في عصر الصحابة

أحجم الصحابة عن كتابة الحديث الشريف النبوي في كتابه، خوفا من أن يختلط بالقرأن، أخرج بن عبد البر في جامع بيان العلم(18): أن عمر بن الخطاب فكر في جمع السنة، ثم لم يلبثأن عدل عن ذلك، عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما، وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيئ أبدا، وفي رواية من طريق مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب قال عندما عدل عن كتابة السنة: لا أكتب مع كتاب الله.

وقد قال الإمام الخطيب البغدادي: فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يضاهي بكتاب الله غيره أو يشتغل عن القرأن بسواه، ونهي عن الكتب القديمة أن تتخذ لأنه لا يعرف حقها من باطلها، وصحيحها من فاسدها مع أن القرأن كفى منها وصار مهيمنا عليها.

الحديث في القرن الثاني الهجري

تتفق جميع المصادر على أن عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين رحمه الله أول من تنبه لتدوين السنة، وكان رحمه الله إماما فقيها مجتهدا عارفا بالسنن كبير الشأن قانتا لله أواها منيبا، فخشي وهو أحق الناس بذلك دروس العلم، فكتب إلى الأفاق

يأمرهم بجمع السنن، وقد علق الإمام البخاري في صحيحه تحت باب كيف يقبض العلم عمر بن عبد العزيز وكتب عمر بن عبد ابعزيز إلى أبي بكر بن حزم: أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل الا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا. قال الإمام البخاري حدثنا العلاء عبد الجبار قال حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن عبد الله بن دينار بذلك يعني حديث عمر بن عبد العزسز إلى قوله(ذهاب العلماء)(19)

روى عمر بن عبد العزيزأن الحديث متعلق بأفراد الرجال، وقد أسرع الموت فيهم، وأن أحدهم ربما طويت معه طائفة من الخير إذا هو مات، وخشي تزيد الناس وشيوع الكذب إذا قل الصحيح، وكانت قد فشت في زمنه أشياء مما يتعمد فيه الكذب لغير مصلحة يتأول فيها، كالأحاديث التي كان يكذب فيها على عكرمة مولى عبد الله بن عباس المتوفى(105) وبرد مولى سعيد بن المسيب المتوفى(94) وغيرهما.

جاء في تنوير الحوالك للسيوطي: أخرج الهروي في ذم الكلام من طريق يحي بن سعيد، عن عبد الله بن دينار، قال: لم يكن الصحابة، ولا التابعون يكتبون الحديث، إنما كانوا يؤدونه لفظا، ويأخذونه حفظا، الا كتاب الصدقات، والشيئ اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الإستقصاء، حتى خيف عليه الدروس، وأسرع في العلماء الموت، فأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبا بكر بن الحزم فيما كتب إليه أن أنظر ما كان من سنة أو حديث عمر، فاكتبه.

وذكر بن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: قال أبو ثابت، عن ابن وهب، عن مالك: لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده علم القضاء ما كان عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وكان ولاه عمر بن عبد العزيز، وكتب إليه أن يكتب إليه من العلم من عند: عمرة بنت عبد الرحمن، والقاسم بن محمد، ولم يكن بالمدينة أنصاري أمير غير أبي بكر بن حزم وكان قاضيا. وقال ابن عبد البر عن مالك بن

أنس: أول من دون العلم ابن شهاب الزهري. وقد ذكر الحافظ بن حجر العسقلاني: أن الشعبي أيضا قد جمع الأحاديث الواردة في باب واحد، فإنه روى عنه أنه قال: هذا باب من طلاق جسيم، وساق فيه أحاديث.

وعقبه علماء أجلاء بتصنيف الكتب الأحاديث ومنهم من صنفها على ترتيب الأبواب ومنهم على غير ذلك.

الفصل الثاني: تعريف بالإمام البخاري وصحيحه.

نسبه ومولده:

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري. ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة بالبخارى. وبردزبه بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها هاء. هذا هو المشهور في ضبطه. وبه جزم ابن ماكولا، وقد جاء في ضبطه غير ذالك. وأما نسبته بالجعفي فنسبة ولاء، لأن المغيرة أسلم على يدي يمان الجعفي ثم أتى إلى بخارى فنسب إليه. ووالد البخاري إسماعيل بن إبراهيم فقد ذكره بن حبان في كتابه (الثقات) في الطبقة الرابعة ويروي عن حماد بن زيد ومالك، ومات إسماعيل ومحمد صغير فنشأ في حجر أمه ثم حج مع أمه وأخيه أحمد ، وكان أسن منه فأقام هو بمكة مجاورا يطلب العلم ورجع أخوه أحمد ألى بخارى فمات بها.

فروى اللالكائي في شرح السنة في باب كرامات الأولياء منه أن محمد إسماعيل ذهبت عيناه في صغره فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك، فقال أصبح وقد رد الله عليه بصره.

مراتب مشايخه الذين كتب عنهم وحدث عنهم

يقول الإمام البخاري عنه: كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث. وقال أيضا: لم أكتب الا عمن قال الإيمان قول وعمل. ويقول الإمام ابن حجر العسقلاني في هديه(20) تنحصر مراتب مشايخه في خمس طبقات:

(الطبقة الأولى) من حدثه عن التابعين ؛ مثل محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد. ومثل مكي بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد ، ومثل أبي عاصم النبيل حدثه عن يزيد أبي عبيد أيضا. الخ..... هؤلاء كلهم من التابعين.

(الطبقة الثانية) من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كآدم بن أبي إياس وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر وسعيد بن أبي مريم وأيوب بن سليمان بلال وأمثالهم.

(الطبقة الثالثة) هي الوسطى من مشايخه وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار أتباع التابعين، كسليمان بن حرب وقتيبة بن سعيد ونعيم بن حماد وعلي بن المديني ويحي بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق راهويه وأبي بكر وعثمان بن أبي شيبة ، وأمثالهم هؤلاء وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم.

(الطبقة الرابعة) رفقائه في الطلب ومن سمع قبله قليلا كمحمد بن يحي الذهلي وأبي حاتم الرازي ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة وجماعة من نظرائهم وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه أو مالم يجد عند غيرهم.

(الطبقة الخامسة) قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة عبد الله بن حماد الأملي وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي وقد روى عنهم أشياء يسيرة. روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه، وعن البخاري أنه قال: لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه.

ثناء الناس عليه وتعظيمهم له:

* وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل رواها الخطيب بسند صحيح. عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه ولما سأله ابنه عبد الله عن الحفاظ فقال شبان من خراسان فعده فيهم فبدأ به.

* وقال حاشد بن إسماعيل رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على المنبر والبخاري جالس معه وإسحاق يحدث فمر بحديث فأنكره محمد فرجع إسحاق

إلى قوله، وقال يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث والفقه.

* وقال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت يحي بن جعفر البيكندي يقول لو قدرت أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم .

* وقال الإمام العجلي مارأيت مثل محمد بن إسماعيل ، ومسلم حافظ ولكنه لم يبلغ مبلغ محمد بن إسماعيل وقال رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه، وكان من الأمم دينا فاضلا يحسن كل شيئ وكان أعلم من محمد بن يحي الذهلي بكذا وكذا.

وقال أبو سهيل: سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون حاجتنا في الدنيا النضر إلى محمد بن إسماعيل. وقال أيضا: كان أحفظهم لحديث قال: وكنت أستملي له ببغداد فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفا.

* قال محمد بن إسماعيل البخاري: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل : أنا رجل مبتلى، قد ابتليت أن لا أقول لك ولكن أقول، فإن أنكرت شيئا فردني عنه: القرآن من أوله إلى أخره كلام الله، ليس شيئ فيه مخلوق. ومن قال : إنه مخلوق، أو شيئ منه مخلوق فهو كافر، ومن زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق: فهو جهمي كافر؟ قال: نعم.(21)

لو فتحت ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل.

جمل من الأخبار الشاهدة لسعة حفظه

* يقول الإمام أبو أحمد بن عدي الحافظ: سمعت من عدة مشايخ بغداد يقولون إن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الحديث لإسناد أخر وإسناد هذا المتن لمتن أخر ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذالك على البخاري، وأخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ، والبخاري يقول : لا أعرفه، وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض يقولون فهم الرجل، ثم انتدب رجل من العشرة أيضا فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على:لا أعرفه، فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا وصوابه كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه. وفعل بالأخرين مثل ذالك فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

يقول الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد إيراد هذه القصة : هنا يخضع للبخاري، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب فإنه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة.(22)

* جاء مسلم بن الحجاج النيسابوري(صاحب الصحيح) إلى محمد بن إسماعيل فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأساتيذ وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله.(23)

تصانيفه والرواة عنه

وقد ألف الإمام البخاري كثيرا من الكتب. ومن أشهرها ما يلي: * الأدب المفرد: يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل.

* رفع اليدين في الصلاة، والقراءة خلف الإمام : يرويهما عنه محمود بن إسحاق الخزاعي. وهو أخر من حدث عنه ببخارى.

* وبر الوالدين: وراويه محمد بن دلويه الوراق.

* والتاريخ الكبير: يرويه عنه أبو أحمد محمد سليمان بن فارس وأبو الحسن محمد بن سهل النسوي وغيره.

* والتاريخ الأوسط: يرويه عنه عبد الله أحمد عبد السلام الخفاف.

* والتاريخ الصغير: يرويه عنه يوسف بن ريحان بن عبد الصمد والفربري.

وغير ذالك من الكتب التي تدل على سعة علمه وبراعة فهمه. وذاع صيته في أفاق بلاده من تلك الكتب.

وفاته

يقول عبد الواحد بن آدم الطواويس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو وافق في موضعه، فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت: ما وقوفك هنا يارسول الله قال: أنتظر محمد بن إسماعيل قال فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي صلى الله عليه وسلم. وقال مهيب بن سليم: كان ذالك ليلة السبت عيد الفطر سنة ستة وخمسين ومائتين. وقال الحسن: وكانت مدة عمره اثنتين وستين سنة الا ثلاثة عشر يوما. تغمده الله برحمته آمين.

فضائل الجامع الصحيح

يقول الإمام البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذالك وصليت ركعتين، ويقول: ضفت كتابي الصحيح في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرجت الله تعالى، وصليت ركعتين وتيقنت صحته. واسم هذا الكتاب(الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه). ويقول الإمام أبو جعفر العقيلي: لما صنف الإمام البخاري كتاب الصحيح عرضه على ابن المديني وأحمد بن حنبل ويحي بن معين وغيرهم، فاستحسنوا وشهدوا له بالصحة الا أربعة أحاديث.

وقال الحاكم أبو أحمد: رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام فإنه الذي ألف الأصول وبين للناس وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه كمسلم فرق أكثر كتابه في كتابه وتجلد فيه حق الجلادة حيث لم ينسبه إليه. وقال الإمام أبو الحسن الدارقطني: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء، وقال أيضا : إنما أخذ مسلم كتاب البخاري فعمل فيه مستخرجا وزاد فيه أحاديث.

والكلام في نقل الأئمة في تفضيله كثير، ويكفي منه اتفاقهم على أنه كان أعلم بهذا الفن من مسلم، وأن مسلما كان يشهد له بالتقدم في ذالك والإمامة فيه والتفرد بمعرفة ذالك في عصره حتى هجر من أجله شيخه محمد بن يحي الذهلي فهذا من حيث الجملة، وأما من حيث التفصيل فقد قررنا أن مدار الحديث الصحيح على الإتصال وإتقان الرجال وعدم العلل.

وعند التأمل يظهر أن كتاب البخاري أتقن رجالا وأشد اتصالا، وبيان ذالك من أوجه:

أحدها: أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربع مائة وبضع وثلاثون رجلا، المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلا، والذي انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرون رجلا، المتكلم فيه بالضعف منهم مائة وستون رجلا، ولا شك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلا أولى من التخريج عمن تكلم فيه وإن لم يكن ذالك الكلام قادحا.

ثانيها: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه لم يكثر من تخريج أحاديثهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها الا ترجمة عكرمة عن ابن عباس بخلاف مسلم فإنه أخرج أكثر تلك النسخ: كأبي الزبير عن جابر، وسهيل عن أبيه، والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه، وحماد بن أبي سلمة عن ثابت وغير ذالك.

ثالثها: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه أكثر هم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم وطلع على أحاديثهم وميز جيدها من موهومها بخلاف مسلم فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عن عصره من التابعين ومن بعدهم، ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم منهم.

رابعها: أن البخاري يخرج من أحاديث أهل الطبقة الثانية انتقاء، ومسلم يخرجها أصولا. فهذه الأوجه الأربعة تتعلق بإتقان الرواة.

وبقي ما يتعلق بالإتصال وهو(الوجه الخامس) وذلك أن مسلما كان مذهبه على ما صرح في مقدمة صحيحه وبالغ في الرد على من خالفه أن الإسناد المعنعن له حكم الإتصال إذا تعاصر المعنعن ومن عنعنه، وإن لم يثبت اجتماعهما ولو مرة، وقد أظهر البخاري هذا المذهب في تاريخه وجرى عليه في صحيحه وأكثر منه حتى إنه ربما خرج الحديث الذي لا تعلق له بالباب جملة الا ليبين سماع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا، وهذا مما ترجح به كتابه لأنا وإن سلمنا ماذكره مسلم من الحكم بالإتصال فلا يخفى أن شرط البخاري أوضح في الإتصال.

وأما ما يتعلق بعدم العلة وهو(الوجه السادس) فإن الأحاديث التي انتقدت عليهما بلغت مائتي حديث وعشرة أحاديث كما سيأتي ذكر ذلك مفصلا في باب مفرد، اختص البخاري منها بأقل من ثمانين وباقي ذلك يختص بمسلم، ولا شك أن ما قل الإنتقاد فيه أرجح مما كثر.

نسبه ومولده:

هو الإمام الكبير، الحافظ، المجود، الحجة، الصادق، أبو الحسن مسلم الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري، النيسابوري، صاحب (الصحيح) فلعله من موالي قشير.

قيل : إنه ولد : سنة أربع ومائتين، وحج في سنة عشرين وهو أمرد، وإرتحل إلى الكوفة، والعراق، والحرمين، ومصر وإلى غيرها من البلدان.

ذكر شيوخه على المعجم

وقد أخذ الإمام مسلم العلم عن عدة العلماء الفضلاء الأجلاء. منهم: إبراهيم بن دينار التمار، وإبراهيم بن زياد سيلان، وأحمد بن سعيد الدارمي، وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وإسحاق بن منصور، وإسماعيل بن أبي أويس– لقيه أول مرة – وبشر بن الحكم، وحماد بن إسماعيل علية، وحميد بن مسعدة، وزكريا بن يحي كاتب العمري، وسعيد بن منصور، وسعيد بن يحي الأزهري، وسهل بن عثمان، وعبد الله البرمكي، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وأبي الشعثاء علي بن الحسن، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن مهران، ويحي بن معين، ويحي بن يحي، ويوس بن عيسى المروزي، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأبي بكر بن نافع، وأبي ابي الزرعة، وأبي قدامة السرخسي، وأبي نصر التمار. وعدتهم: مائتان وعشرون رجلا أخرج عنهم في الصحيح، وله شيوخ سوى هؤلاء لم يخرج عنهم في الصحيح كعلي بن جعد وعلي بن الميني ومحمد بن يحي الذهلي.

الراون عنه:

علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي– وهو أكبر منه– ومحمد بن عبد الوهاب الفراء–شيخه ولكن ماأخرج عنه في صحيحه– والحسين بن محمد القباني، وصالح بن محمد جزرة، أبو عيسى الترمذي في جامعه، وأحمد بن المبارك المستملي، وعبدالله بن يحي السرخسي القاضي، وإبراهيم بن إسحاق الصيرفي، وإبراهيم بن أبي طالب– رفيقه– إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه– راوي الصحيح– وزكريا بن داود الخفاف، وأبو علي عبد الله بن محمد بن علي البلخي الحافظ، وسعيد بن عمرو، وأبو

بكر بن خزيمة، وأبو العباس السراج، ومكي بن عبدان، والحافظ أبو عوانة، ونصر بن أحمد بن نصر الحافظ لم يرو الترمذي في جامعه عن مسلم سوى حديث واحد.

جمل من الأخبار الشاهدة لسعة حفظه:

* قال أبو عمرو بن حمدان: سألت الحافظ بن عقدة عن البخاري ومسلم أيهما أعلم؟ فقال: كان محمد عالما، ومسلم عالما، كررت عليه مرارا، فقال يا أبا عمرو! قد يقع لمحمد الغلط في أهل الشام، وذلك أنه أخذ كتبهم، فنظر فيها، فربما ذكر الواحد منهم بكنيته، ويذكره في موضع أخرباسمه، يتوهم أنهما اثنان، وأما مسلم فقلما يقع له من الغلط في العلل لأنه كتب المسانيد، ولم يكتب المقاطع ولا المراسيل.

* قال الحاكم: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: رأيت شيخا أحسن الوجه والثياب، عليه رداء حسن، وعمامة، قد أرخاها بين كتفيه. فقيل: هذا مسلم. فتقدم أصحاب السلطان، فقالوا: قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين، فقدموه في الجامع، فكبر وصلى بالناس.

*وقال مكي بن عبدان: سمعت مسلما يقول: عرضت كتابي هذا المسند على أبي زرعة، فكل ما أشار علي في هذا الكتاب أن له علة وسببا تركته وكل ما قال: إنه صحيح ليس له علة، فهو الذي أخرجت، ولو أن أهل الحديث يكتبون الحديث مائتي سنة، فمدارهم على هذا المسند.

* قال أبو قريش الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بالنيسابور، وعبد الله الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى.

*قال مكي بن عبدان: وافى داود بن علي الأصبهاني نيسابور أيام إسحاق بن راهوي، فعقدوا له مجلس النظر، وحضر مجلسه يحي بن الذهلي، ومسلم بن الحجاج، فجرت مسألة تكلم فيها يحي، فزبره داود. قال: اسكتيا صبي، ولم ينصره مسلم، فرجع إلى أبيه، وشكى إليه داود، فقال أبوه: ومن كان ثم؟ قال: مسلم، ولم ينصرني. قال : فد رجعت

عن كل ما حدثته به. فبلغ ذلك مسلما، فجمع ما كتب عنه في زنبيل وبعث به أليه، وقال: لا أروي عنك أبدا.

* قال أبو بكر الخطيب: كان مسلم يناضل عن البخاري، حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحي بسببه.(24)

مكانته وثناء العلماء:

أجمع العلماء على جلالته وإمامته وعلو مرتبته وحذقه في هذه الصنعة وتقده فيها وتضلعه منها ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث واطلاعه منها وتفننه فيها كتابه الصحيح.

قال ابن الأخرم إنما أخرجت مدينتنا هذه من رجال الحديث ثلاثة: محمد بن يحي، وإبراهيم بن أبي طالب، ومسلم. وقال أحمد بن سلمة: رأيت أبا زرعة، وأبا حاتم يقدمان مسلما في معرفته الصحيح على مشايخ عصره.

مصنفاته:

* كتاب الكنى الأسماء.
* كتاب المنفردات والوحدان.
* كتاب الطبقات.
* رجال عروة بن الزبير.
* كتاب التمييز.
* المسند الكبير على الرجال.
* الجامع على الأبواب.
* الأسامي والكنى.
* العلل.
* الأقران.

* سؤالاته أحمد بن حنبل.
* عمرو بن شعيب.
* الإنتفاع بأهل السباع.
* مشايخ مالك.
* مشايخ الثوري.
* مشايخ شعبة.
* من ليس له الا راو واحد.
* أولاد الصحابة.
* المخضرمون.
* أفراد الشاميين.

وفاته:

قال محمد بن عبد الله النيسابوري: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب سمعت أحمد بن سلمة يقول: عقد لأبي الحسين مسلم بن الحجاج مجلس للمذاكرة، فذكر له حديث لم يذكره، فانصرف إلى منزله وأوقد السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخلن أحد منكم هذا البيت، فقيل له: أهديت لنا سلة فيها تمر فقال قدموها إلي. فقدموه إليه، فكان يطلب الحديث، ويأخذ تمرة تمرة يمضغها، فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث. قال محمد بن عبد الله: زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات.

وقال ابن كثير: فحصل له بسبب ذلك ثقة ومرض في ذلك حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد، ودفن يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور..... وكان عمره سبعا وخمسين سنة وقبره يزار.

فضائل صحيح مسلم

إن أول من صنف الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم، وتلاه أبو الحسين مسلم الحجاج النيسابور القشيري من أنفسهم . ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري ولكن حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله بحيث أن بعض الناس كان يفضله على صحيح البخاري وذلك لما اختص به منجمع الطرق وجودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى، وكذلك المعلق الذي حذف من مبتدأ إسناده واحد أو أكثر فاأغلب ما وقع ذلك في كتاب البخاري وهو في كتاب مسلم قليل جدا.

ومن حقق نظره في صحيح مسلم واطلع على ما أودعه في أسانيده وترتيبه وحسن سياقه وبديع طريقته من نفائس التحقيق وجواهر التحقيق وأنواع الورع والاحتياط والتحري في الرواية، وتلخيص الطرق واختصارها وضبط متفرقها وانتشارها وكثرة اطلاعها واتساع روايته، وغير ذلك مما فيه من المحاسن والأعوجاجات واللطائف الظاهرات والخفيات، علم أنه إمام لا يلحقه من بعد عصره، وقل من يساويه بل يدانيه من أهل وقته ودهره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وقال عمر بن أحمد الزاهد: سمعت الثقة من أصحابنا يقول: رأيت فيما يرى النائم كأن أبا علي الزغوزي يمشي في شارع الحيرة ويبكى وبيده جزء من كتاب مسلم فقلت له: ما فعل الله بك فقال: نجوت بهذا وأشار إلى ذلك الجزء.

الفصل الرابع: موقف الشيخين من تثبت الحديث

اعلم أن البخاري ومسلما لم ينقل عن واحد منهما أنهما قالا: شرطت أن أخرج في كتابي مما يكون على الشرط الفلاني، وإنما يعرف ذلك بالتتبع والإستقراء

لأساليبهما وماالتزماه في تخريج الحديث في كتابيهما. واختلف العلماء في تعيين شرطهما:

القول الأول :- أن شرط البخاري ومسلم أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون اسنادها متصلا غير مقطوع، وإن كان للصحابي راويان فصاعدا فحسن، وأن لم يكن الا راو واحد إذا صح الطريق إلى ذلك الراوي أخرجاه. وهذا القول مروي عن القسطلاني في مقدمة شرحه للبخاري (إرشاد الساري ص 29) وأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي.

القول الثاني:- أن يكون الحديث مرويا عن طريق رجال الكتابين أوأحدهما مع مراعات الكيفية التي التزمها الشيخان في الرواية عنهم. وهذا القول مروي عن يحي بن شرف النووي في (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ص 1\71)

وعلى هذين القولين جمهور علماء الأصول والجرح والتعديل.

وهناك قول ثالث معارض للقولين الأخيرين وهو: أن شرط البخاري ومسلم أن يكون للصحابي راويان فصاعدا ثم يكون للتابعي المشهور راويان ثقتان ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رواة من الطبقة الرابعة، ثم يكون شيخ لبخاري ومسلم حافظا متقن مشهور بالعدالة، فهذه الدرجة من الصحيح. وهذا القول منسوب لأبي عبد الله الحاكم صاحب(المستدرك)

وقال الحافظ أبو بكرالحازمي- رحمه الله- : هذا الذي قاله الحاكم، قول من لم يمعن الغوص في خبايا الصحيح، ولو استقرأ الكتاب حق استقراءه لوجد جملة من الكتاب ناقضة دعواه، ثم قال ماحاصله: إن شرط الصحيح أن يكون اسناده متصلا، وأن يكون راويه مسلما صادقا غير مدلس ولامختلط، متصفا بصفات العدالة ضابطا متحفظا سليم الذهن قليل الوهم سليم الإعتقاد، قال: ومذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه العدول، فبعضهم حديثه صحيح ثابت، وبعضهم حديثه مدخول، قال: وهذا باب فيه غموض وطريق ايضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوي الأصل ومراتب مداركهم. تجد هذا القول في مقدمة فتح الباري. إن شاء الله.

ومن العلماء من يتعقب قول الإمام الحاكم، الإمام الحافظ ابن طاهر فقال: إن الشيخين لم يشترطا هذا الشرط ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك، والحاكم قدر هذا التقدير وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن، ولعمري إنه لشرط حسن لو كان موجودا في كتابيهما، الا أنا وجدنا هذه القاعدة التي أسسها الحاكم منتقضة في الكتابين جميعا، فمن ذلك في الصحابي أن البخاري أخرج حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول الكتاب عن علقمة بن أبي وقاص (إنما الأعمال بالنيات...) الحديث وليس لعمر الا راو واحد وهو علقمة بن أبي وقاص. في أشياء كثيرة اقتصرنا منها على هذا القدر، ليعلم أن القاعدة التي أسسها الحاكم لا أصل له، ولو اشتغلنا بنقض هذا الفصل الواحد في التابعين وأتباعهم وبمن روى عنهم إلى عصرلأربى على كتابه المدخل، الا أن الإشتغال بنقض الحاكم لا يفيد الفائدة. تجد الشيخين هذا الرد المفحم في إرشاد الساريِ.

الباب الثاني: انكار أحاديث البخاري ومسلم في عصرهما. والجواب عليه:

وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصف أن يعلم أن هذه الأحايث وإن كان أكثرها لايقدح في أصل موضوع الكتاب، فإن جميعها وارد من جهة أخرى وهي ماادعاه الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره من العلماء الإجماع على تلقي هذا الكتاب بالقبول والتسليم لصحة جميع مافيه فإن هذه المواضع متنازع في صحتها فلم يحصل لها من التلقي ما حصل لمعظم الكتاب، وقد تعرض لهذا ابن الصلاح في قوله الا مواضع يسيرة انقدها فليه الدارقطني وغيره، وقال في مقدمة شرح مسلم: ما أخذ عليهما يعني على البخاري ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مماذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول.

(الحديث الأول):قال الدارقطني: فيما قرأت بخطه وأخرج البخاري(25) عن أبي معمر عن عبد الوارث عن الحسين المعلم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عطاء بن يسار عن زيد بن خالد الجهني أنه سأل عثمان بن عفان: عن الرجل يجامع أهله ولا يمني فقال عثمان يتوضأ ويغسل ذكره، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال وسألت عن ذلك عليا والزبير وطلحة وأبي بن كعب فأمروه بذلك. قال يحيى بن أبي كثير وأخبرني أبو سلمة أيضا أن عروة أخبره أن أبا أيوب أخبره أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الدارقطني رحمه الله: وهذا وهم- قوله إن أبا أيوب أخبره أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم- لأن أبا أيوب لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سمعه من أبي بن كعب كذلك رواه هشام بن عروة عن أبيه وقد أخرجه البخاري من حديث هشام على الصواب انتهى. وقد وافق البخاري مسلم على تخريجه على الوجهين

وقال الخطيب: قوله إن أبا أيوب سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم خطأ فإن جماعة من الحفاظ رووه عن هشام عن أبيه عن أبي أيوب بن كعب.

(الجواب) : وغاية ما في هذا أن أبا سلمة وهشاما اختلفا فزاد هشام فيه ذكر أبي بن كعب ولا يمنع ذلك أن يكون أبو أيوب سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه أيضا من أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أن أبا سلمة أجل وأسن وأتقن من هشام بل هو من أقران عروة والد هشام فكيف يقضي لهشام عليه بل الصواب أن الطريقين صحيحان ويحتمل أن يكون اللفظ الذي سمعه أبو أيوب من أبي بن كعب غير اللفظ الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لأن سياق حديث أبي بن كعب عند البخاري يقتضي أنه هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة فتضمن زيادة فائدة وحديث أبي أيوب عنده لم يسق لفظه بل أحال به على حديث عثمان كما ترى وعلى تقدير أن يكون أبو أيوب في نفس الأمر لم يسمعه إلا من أبي بن كعب فهو مرسل صحابي وقد اتفق المحدثون على أنه في حكم الموصول وقد أخرج مسلم في صحيحه شبيها به ولم يتعقبه الدارقطني وهو حديث بن عباس في قصة إرسال معاذ بن جبل إلى اليمن فإن في بعض الروايات عن بن عباس عن معاذ وفي بعضها عن بن عباس قال أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذا وتعقب القاضي أبو بكر بن العربي حديث زيد بن خالد وزعم أن فيه ثلاث علل فقال الأولى أن مداره على حسين بن ذكوان المعلم ولم يصرح بسماعه له من يحيى بن أبي كثير وإنما جاء عن حسين قال قال يحيى بن أبي كثير الثانية أنه خولف فيه فرواه غيره عن يحيى بن أبي كثير موقوفا غير مرفوع الثالثة أن أبا سلمة أيضا قد خولف فيه فرواه زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن زيد بن خالد موقوفا عن جماعة من الصحابة قلت والجواب عن الأولى أن بن خزيمة والسراج والإسماعيلي وغيرهم رووا الحديث من طريق حسين المعلم وصرحوا فيه بالإخبار ولفظ السراج بسنده إلى حسين أخبرنا يحيى بن أبي كثير أن أبا سلمة حدثه الخ وأما الجواب عن الثانية والثالثة

فالتعليل المذكور بهما غير قادح لأن رواية حسين مشتملة على الرفع والوقف معا فإذا اشتمل غيرهما على الموقوف فقط كانت هي مشتملة على زيادة لا تنافي الرواية الأخرى فتقبل من الحفاظ وهو كذلك فتبين أن التعليل بذلك ليس بقادح .

(الحديث الثاني): قال الدارقطني وأخرجا(26) حديث بن جريج عن الزهري عن سليمان بن يسار عن بن عباس عن الفضل في قصة الخثعمية، قال: وقال حجاج في هذا الحديث عن بن جريج حدثت عن الزهير.

(الجواب):الحديث مخرج عندهما من رواية مالك وغيره عن الزهري فليس الاعتماد فيه على بن جريج وحده مع أن حجاجا لم يتابع على هذا السياق إلا أنه حافظ وابن جريج مدلس فتعتمد رواية حجاج إلى أن يوجد من رواية غيره عن بن جريج مصرحا فيه بالسماع عن الزهري فأتى لم أره من حديثه إلا معنعنا. والله أعلم.

(الحديث الثالث): قال أبو مسعود: أخرج البخاري(27) حديث شعيب بن إسحاق عن الأوزاعي قال أخبرني يحيى بن أبي كثير أن عمرو بن يحيى بن عمارة أخبره عن أبيه أنه سمع أبا سعيد يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم:(ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) الحديث. وقد رواه داود بن رشيد وهشام بن خالد عن شعيب عن الأوزاعي عن يحيى غيرمنسوب ورواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عبد الرحمن بن أبي اليمان عن يحيى بن سعيد ورواه عبد الوهاب بن نجدة عن شعيب عن الأوزاعي قال حدثني يحيى بن سعيد انتهى كلامه.

(الجواب): واقتضى أمرين أحدهما أن شيخ البخاري وهو إسحاق بن يزيد وهم في نسبة يحيى فقال بن أبي كثير وإنما هو يحيى بن سعيد بدليل رواية عبد الوهاب وأن داود وهشاما لم ينسباه ثانيهما أنه اختلف فيه على الأوزاعي مع ذلك بزيادة رجل فيه بينه

وبين يحيى بن سعيد من رواية الوليد بن مسلم وإذا تأملت ما ذكره لم تجد ما اختاره مستقيما بل رواية الوليد بن مسلم تدل على أنه لم يكن عند الأوزاعي عن يحيى بن سعيد إلا بواسطة وقد صرح شعيب عنه بأن يحيى أخبره فاقتضى ذلك أن رواية عبد الوهاب بن نجدة إما موهومة وإما مدلسة ورواية إسحاق عن شعيب صحيحه صريحة وقد حدث لإسحاق فيه متابعا عن شعيب وذلك فيما أخرجه أبو عوانة في صحيحه قال حدثنا أبو إبراهيم الزهري وكان من الإبدال حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا شعيب بن إسحاق حدثنا الأوزاعي قال أخبرني يحيى بن أبي كثير فذكره سواء وهكذا أخرجه الإسماعيلي في مستخرجه من طريق سليمان بن عبد الرحمن ثم قال الحديث المشهور عن يحيى بن سعيد رواه الخلق عنه وقد رواه داود بن رشيد عن شعيب عن الأوزاعي عن يحيى بن سعيد قلت وهو يدل لما قلناه أن رواية الأوزاعي له عن يحيى بن سعيد مدلسة وعن يحيى بن أبي كثير مسموعة وكأنه كان عند شعيب بن إسحاق عن الأوزاعي على الوجهين. والله أعلم.

(الحديث الرابع): قال أبو علي الجياني: أخرج البخاري(28) حديث شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن يدعي الإسلام :(هذا من أهل النار) الحديث. قال وتابعه معمر وقال شعيب عن يونس عن الزهري أخبرني بن المسيب وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أن أبا هريرة قال وقال بن المبارك عن الزهري عن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم يعني مرسلا وتابعه صالح عن الزهري وقال الزبيدي أخبرني الزهري أن عبد الرحمن بن كعب أخبره عن عبد الله بن كعب قال حدثني من شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر قال الزهري وأخبرني عبد الله بن عبد الله وسعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم. انتهى.

(الجواب): وكلامه فيه اختصار وحذف لا يفهم المراد منه وفيه وهم في قوله قال الزهري وأخبرني عبد الله بن عبد الله وسعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن عبد الله بن عبد الله لا يعرف والصواب) إن شاء الله عبد الرحمن بن عبد الله وهو بن كعب قال وكنت أظن أن الوهم فيه ممن دون البخاري إلى أن رأيته في التاريخ قد ساقه كما ساقه في الصحيح سواء قلت الخطب فيه يسير من سبقالقلم من عبد الرحمن إلى عبد الله على أن يعقوب بن سفيان وافق البخاري على سياقه له فرواه عن شيخه الذي أخرجه عنه في التاريخ وهو إسحاق بن العلاء بن زريق فلعل الوهم فيه منه والله أعلم ثم ساق من حديث الزهري لمحمد بن يحيى الذهلي طرق حديث شعيب ومعمر وصالح كما قال البخاري ثم ساق حديث الزبيدي عن الزهري أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أخبره أن عمه عبيد الله بن كعب قال أخبرني من شهد فذكر الحديث إلى قوله قد صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه قال الزهري وأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله وسعيد بن المسيب قالا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا بلال قم فأذن إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن الحديث قال الذهلي فمعمر وشعيب ساقا الحديث كله وميزه الزبيدي قال الجياني لا تخالف بين هذه الطرق لأن الحديث جميعه عند سعيد بن المسيب عن أبي هريرة كما أسنده معمر وشعيب ولكن الزهري لما رواه للزبيدي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ولم يكن أخبره عنه عبد الرحمن موصولا بين ذلك وقرنهما وأرسله عن بن المسيب ولكن رواية شعيب عن يونس غير محفوظة حيث جعله كله موصولا عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب وسعيد بن المسيب جميعا عن أبي هريرة فوهم قاله الذهلي قال ويدل على ذلك أن موسى بن عقبة وابن أخي

الزهري رويا عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب القصة الأخيرة مرسلة لم يذكرا أبا هريرة قلت فهذا يقوي أن في رواية شعيب ومعمر إدراجا أيضا في آخره وحكى مسلم في التمييز أن الحلواني حدثهم بهذا الحديث عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان عن بن شهاب أخبرني عبد الرحمن بن المسيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بلال قم فأذن في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن الحديث قال الحلواني قلنا ليعقوب من عبد الرحمن بن المسيب قال كان لسعيد بن المسيب أخ يقال له عبد الرحمن وكان رجل من بني كنانة يقال له عبد الرحمن بن المسيب أيضا فأظن أن هذا هو الكناني قال مسلم وهذا الذي قاله يعقوب ليس بشيء وإنما هذا إسناد سقطت منه لفظة واحدة وهي الواو ففحش خطؤه والصواب عن الزهري أخبرني عبد الرحمن وابن المسيب فعبد الرحمن هو بن عبد الله بن كعب بن مالك وابن المسيب هو سعيد قال وكذلك رواه موسى بن عقبة وابن أخي الزهري عن الزهري والوهم فيه ممن دون صالح بن كيسان انتهى فاستفدنا من هذا أن صالحا وافق موسى بن عقبة وابن أخي الزهري على إرساله وكذا وافقهم يونس من رواية بن المبارك عنه وهو الصواب والله أعلم ثم أن في الحديث موضعا آخر يتعلق بوهم في المتن وهو قوله عن أبي هريرة شهدنا خيبر وسيأتي شرحه في الحديث الذي بعد هذا وقد صرح بالوهم فيه موسى بن هارون وغيره لأن أبا هريرة لم يشهدها وإنما حضر عقب الفتح والجواب عن ذلك أن المراد من الحديث أصل القصة وقوله شهدنا فيه مجاز لأنه شهد قسم النبي صلى الله عليه وسلم لغنائم خيبر بها بلا خلاف. والله أعلم.

(الحديث الخامس):قال الدارقطني وأخرجا جميعا(29) حديث مالك عن حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم(نهى عن بيع الثمار حتى تزهى) فقيل وما تزهى قال حتى تحمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أرأيت إذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه) قال الدارقطني: خالف مالكا جماعة منهم إسماعيل بن جعفر وابن المبارك وهشيم ومروان بن معاوية ويزيد بن هارون وغيرهم قالوا فيه قال أنس أرأيت إن منع الله الثمرة قال وقد أخرجا جميعا حديث إسماعيل بن جعفر وقد فصل كلام أنس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

(الجواب): سبق الدارقطني إلى دعوى الإدراج في هذا الحديث أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان وابن خزيمة وغير واحد من أئمة الحديث كما أوضحته في كتابي تقريب المنهج بترتيب المدرج وحكيت فيه عن بن خزيمة أنه قال رأيت أنس بن مالك في المنام فأخبرني أنه مرفوع وأن معتمر بن سليمان رواه عن حميد مدرجا لكن قال في آخره لا أدري أنس قال بم يستحل أو حدث به عن النبي صلى الله عليه وسلم والأمر في مثل هذا قريب. والله أعلم.

(الحديث السادس):قال البخاري: باب الخوخة الممر في المسجد حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح هو بن سليمان حدثنا أبو النضر عن عبيد بن حنين عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد الخدري قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده)(30) الحديث. قال الدارقطني: هذا السياق غير محفوظ واختلف فيه على فليح فرواه محمد بن سنان هكذا. وتابعه المعافة بن سليمان الحراني ورواه سعيد بن منصور ويونس بن محمد المؤذن وأبو داود الطيالسي عن فليح عن أبي النضر عن عبيد بن حنين وبسر بن سعيد جميعا عن أبي سعيد.

(الجواب): أخرجه مسلم عن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة عن يونس وابن حبان في صحيحه من حديث الطيالسي ورواه أبو عامر العقدي عن فليح عن أبي النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد ولم يذكر عبيد بن حنين أخرجهما البخاري في مناقب أبي بكر فهذه ثلاثة أوجه مختلفة فأما رواية أبي عامر فيمكن ردها إلى رواية سعيد بن منصور بأن يكون اقتصر فيها على أحد شيخي أبي النضر دون الآخر وقد رواه مالك عن أبي النضر عنهما جميعا حدث وتابعه جماعة عن مالك خارج الموطأ، وأخرجه البخاري أيضا عن بن أبي أويس عن مالك في الهجرة لكنه اقتصر فيه على عبيد بن حنين حسب وأما رواية محمد بن سنان فوهم لأنه صير بسر بن سعيد شيخا لعبيد بن حنين وإنما هو رفيقه في رواية هذا الحديث ويمكن أن تكون الواو سقطت قبل قوله عن بسر وقد صرح بذلك البخاري فيما رواه أبو علي بن السكن الحافظ في زوائده في الصحيح قال أنبأنا الفربري قال قال البخاري هكذا رواه محمد بن سنان عن فليح وإنما هو عن عبيد بن حنين وعن بسر بن سعيد يعني بواو العطف فقد أفصح البخاري بأن شيخه سقطت عليه الواو من هذا السياق وإن من إسقاطها نشأ هذا الوهم وإذا رجعنا إلى الإنصاف لم تكن هذه علة قادحة مع هذا الإيضاح. والله أعلم

(الحديث السابع): قال الدارقطني أخرج البخاري(31) حديث الليث عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم(كان يجمع بين قتلى أحد ويقدم أقرأهم) وقد رواه بن المبارك عن الأوزاعي عن الزهري مرسلا عن جابر ورواه معمر عن الزهري عن بن أبي صغيرة عن جابر ورواه سليمان بن كثير عن الزهري حدثني من سمع جابرا وهو حديث مضطرب انتهى.

(الجواب) أطلق الدارقطني القول في هذا الحديث بأنه مضطرب مع إمكان نفي الاضطراب عنه بأن يفسر المبهم الذي في رواية سليمان بالمسمى الذي في رواية الليث وتحمل رواية معمر على أن الزهري سمعه من شيخين وأما رواية الأوزاعي المرسلة فقصر فيها بحذف الواسطة فهذه طريقة من ينفي الاضطراب عنه وقد ساق البخاري

ذكر الخلاف فيه وإنما أخرج رواية الأوزاعي مع انقطاعها لأن الحديث عنده عن عبد الله بن المبارك عن الليث والأوزاعي جميعا عن الزهري فأسقط الأوزاعي عبد الرحمن بن كعب وأثبته الليث وهما في الزهري سواء وقد صرحا جميعا بسماعهما له منه فقبلت زيادة الليث لثقته ثم قال بعد ذلك ورواه سليمان بن كثير عن الزهري عمن سمع جابرا وأراد بذلك إثبات الواسطة بين الزهري وبين جابر فيه في الجملة وتأكيد رواية الليث بذلك ولم يرها علة توجب اضطرابا وأما رواية معمر فقد وافقه عليها سفيان بن عيينة فرواه عن الزهري عن بن أبي صغيرة وقال ثبتني فيه معمر فرجعت روايته إلى رواية معمر وعن الزهري فيه اختلاف لم يذكره الدارقطني فقيل عن أسامة بن زيد عن الزهري عن أنس ومن هذا الوجه أخرجه أبو داود والترمذي ونقل في العلل عن البخاري أنه قال حديث أسامة خطأ غلط فيه يعني أن الصواب حديث الليث ووهم الحاكم فأخرج حديث أسامة هذا في مستدركه وعن الزهري فيه اختلاف آخر رواه البيهقي من طريق عبد الرحمن بن عبد العزيز الأنصاري عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه وهو خطأ أيضا وعبد الرحمن هذا ضعيف ولا يخفى على الحاذق أن رواية الليث أرجح هذه الروايات كما قررناه وأن البخاري لا يعل الحديث بمجرد الاختلاف حديث بن عباس مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين.

(الحديث الثامن):قال الدارقطني أخرج البخاري(32) حديث أبي مروان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(لها إذا صليت الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون) الحديث. وهذا منقطع وقد وصله حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة ووصله مالك عن أبي الأسود عن عروة كذلك في الموطأ.

(الجواب):حديث مالك عند البخاري في هذا المكان مقرون بحديث أبي مروان وقد وقع في بعض النسخ وهي رواية الأصيلي في هذا عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة موصولا وعلى هذا اعتمد المزي في الأطراف ولكن معظم الروايات على إسقاط

زينب قال أبو علي الجياني وهو الصحيح ثم ساقه من طريق أبي علي بن السكن عن علي بن عبد الله بن مبشر عن محمد بن حرب شيخ البخاري فيه على الموافقة وليس فيه زينب وكذا أخرجه الإسماعيلي من حديث عبدة بن سليمان ومحاضر وحسان بن إبراهيم كلهم عن هشام ليس فيه زينب وهو المحفوظ من حديث هشام وإنما اعتمد البخاري فيه رواية مالك التي أثبت فيها ذكر زينب ثم ساق معها رواية هشام التي سقطت منها حاكيا للخلاف فيه على عروة كعادته مع أن سماع عروة من أم سلمة ليس بمستبعد. والله أعلم.

(الحديث التاسع): قال الدارقطني وأخرج البخاري(33) حديث الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر(اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك) قال: وقال هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن حفصة عن عمر وقال روح بن القاسم عن زيد بن أسلم عن أمه عن حفصة عن عمر.

(الجواب):الظاهر أنه كان عند زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر وعن أمه عن حفصة عن عمر لأن الليث وروح بن القاسم حافظان وأسلم مولى عمر من الملازمين له العارفين بحديثه وفي سياق حديث زيد بن أسلم عن أمه عن حفصة زيادة على حديثه عن أبيه عن عمر كما بينته في كتاب تغليق التعليق فدل على أنهما طريقان محفوظان وأما رواية هشام بن سعد فإنها غير محفوظة لأنه غير ضابط والله أعلم وقد رواه مالك عن زيد بن أسلم عن عمر لم يذكر بينهما أحدا ومالك كان يصنع ذلك كثيرا.

(الحديث العاشر): قال أبو مسعود في حديث أبي إسحاق الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري هو أبو طوالة سمعت أنسا يقول:(دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بنت ملحان فاتكأ عندها ثم ضحك الحديث وفيه ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر)(34)قال أبو مسعود: هكذا في كتاب البخاري أبو إسحاق عن أبي طوالة وسقط عليه بينهما زائدة بن قدامة كذا قال أبو مسعود واستند في ذلك إلى رواية المسيب

بن واضح عن أبي إسحاق الفزاري عن زائدة عن أبي طوالة وهو مستند في غاية الوهاء فإن المسيب ضعيف والحديث في كتاب السير لأبي إسحاق الفزاري من رواية عبد الملك بن حبيب المصيصي عنه ليس فيه زائدة وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق الفزاري عن أبي طوالة ليس فيه زائدة كما رواه البخاري عن عبد الله بن محمد عن معاوية بن عمرو سواء حتى قال أبو علي الجياني تتبعت طرق هذا الحديث عن أبي إسحاق فلم أجد فيها زائدة انتهى.

(الجواب): نعم الحديث محفوظ لزائدة عن أبي طوالة أيضا بمتابعة أبي إسحاق عن أبي طواله لا من رواية أبي إسحاق الفزاري عن زائدة ورواه عن زائدة حسين بن علي الجعفي ومعاوية بن عمرو أيضا ومن طريقهما أخرجه الإسماعيلي في مستخرجه وأبو عوانة في صحيحه لا ذكر لأبي إسحاق الفزاري فيه وقد رواه أحمد في مسنده عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق وعن معاوية بن عمرو عن زائدة كلاهما عن أبي طوالة فذكر هذا الحديث وأخرج بهذا الإسناد عن معاوية بن عمرو عنهما حديث آخر وهو حديث أنس في فضل عائشة على النساء فأظن المسيب بن واضح إن كانت روايته محفوظة يكون قد رواه عن أبي إسحاق الفزاري وزائدة جميعا عن أبي طوالة فوضع موضع واو العطف عن والله أعلم.

(الحديث الحادي عشر): قال الدارقطني وأخرج البخاري(35) حديث توبة كعب بن مالك من طرق صحيحة عن عقيل وغيره عن الزهير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن كعب وهو الصواب وأخرجه يعني في الجهاد مختصرا عن أحمد بن محمد عن بن المبارك عن يونس عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن كعب قال وهو مرسل فقد رواه سويد بن نصر عن بن المبارك فقال عن أبيه عن كعب كما قال الجماعة في هذا الحديث.

(الجواب): وقع في رواية البخاري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب قال سمعت كعبا فأخرجه على الاحتمال لأن من الجائز أن يكون عبد الرحمن سمعه من جده وثبته

فيه أبوه فكان في أكثر الأحوال يرويه عن أبيه عن جده وربما رواه عن جده لكن رواية سويد بن نصر التي أشار إليها الدارقطني توجب أن يكون الخلاف فيها على عبد الله بن المبارك وحينئذ فتكون رواية أحمد بن محمد شاذة فلا يترتب على تخريجها كبير تعليل فإن الاعتماد إنما هو على الرواية المتصلة والله أعلم ثم وجدت الحديث في سنن أبي داود عن معمر عن الزهير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وقال محمد بن يحيى الذهلي في علل حديث الزهري ما أظن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب سمع من جده شيئا وإنما يروي عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب ثم ساق حديث معمر كما ذكره أبو داود سواء.

(الحديث الثاني عشر): قال الدارقطني وأخرج البخاري(36) حديث العوام بن حوشب عن إبراهيم السكسكي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(: إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما)وهذا لم يسنده غير العوام وخالفه مسعر فقال عن إبراهيم السكسكي عن أبي بردة قوله لم يذكر أبا موسى ولا النبي صلى الله عليه وسلم

(الجواب):مسعر أحفظ من العوام بلا شك إلا أن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع وفي السياق قصة تدل على أن العوام حفظه فإن فيه اصطحب يزيد بن أبي كبشة وأبو بردة في سفر فكان يزيد يصوم في السفر فقال له أبو بردة أفطر فإني سمعت أبا موسى مرارا يقول فذكره وقد قال أحمد بن حنبل إذا كان في الحديث قصة دل على أن راوية حفظه والله أعلم.

(الحديث الثالث عشر): قال الدارقطني أخرج البخاري(37) حديث بن أبي أويس عن أخيه عن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال(: يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة) الحديث. قال وهذا رواه إبراهيم بن طهمان عن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة.

(الجواب):قد علق البخاري حديث إبراهيم بن طهمان في التفسير فلم يهمل حكاية الخلاف فيه ولكن أعله الإسماعيلي من وجه آخر فقال بعد أن أورده هذا خبر في صحته نظر من جهة أن إبراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد فكيف يجعل ما بأبيه خزيا له مع خبره.

(الحديث الرابع عشر): قال أبو علي الجياني قال البخاري(38) حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل حدثنا عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام الحديث قال والمحفوظ فيه عن مجاهد عن بن عباس قال أبو مسعود أخطأ البخاري في قوله عن بن عمر وإنما رواه محمد بن كثير عن إسرائيل بهذا الإسناد عن بن عباس وكذلك رواه إسحاق بن منصور السلولي ويحيى بن آدم وابن أبي زائدة وغيرهم عن إسرائيل وكذا نبه على هذا الوهم أبو ذر الهروي في نسخته فساق الحديث من طريق حنبل بن إسحاق عن محمد بن كثير فقال عن بن عباس كذا قال أبو ذر وكذا رواه عثمان الدارمي عن محمد بن كثير وكذا رواه أبو أحمد الزبيري عن إسرائيل.

(الجواب): قلت وكذا رواه أحمد في مسنده عن أسود بن عامر شاذان عن إسرائيل وكذا رواه الطبراني عن أحمد بن محمد الخزاعي عن محمد بن كثير وكذا رواه سمويه في فوائده عن الحسين بن حفص عن إسرائيل ويؤيد أنه من سبق القلم أن البخاري قد أخرجه في موضع آخر من رواية بن عون عن مجاهد عن بن عباس وهو الصواب وقد تعقبه أبو عبد الله بن منده أيضا على البخاري فأخرجه في كتاب الإيمان من طريق محمد بن أيوب بن النضريس وموسى بن سعيد الطرسوسي كلاهما عن محمد بن كثير به وقال في آخره قال البخاري عن بن عمر والصواب بن عباس وكذا رواه أبو نعيم في مستخرجه عن الطبراني عن أحمد بن محمد بن علي الخزاعي عن محمد بن كثير وقال بن عباس كما تقدم وقال بعده رواه البخاري عن محمد بن كثير فقال بن عمر ثم ساقه من طريق أبي أحمد الزبيري فقال بن عباس أيضا ثم رأيته في مستخرج الإسماعيلي من

طريق أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل وقال فيه عن بن عباس ولم يتعقبه كعادته واستدللت بذلك على أن الوهم فيه من غير البخاري والله أعلم.

(الخامس عشر): قال الدارقطني أخرج البخاري(39) عن يحيى بن قزعة وعن الأويسي عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :(كان في الأمم ناس محدثون) قال وتابعهما سليمان بن داود الهاشمي وأبو مروان العثماني وخالفهم بن وهب فرواه عن إبراهيم بن سعد فقال عن عائشة بدل أبي هريرة وقد رواه زكريا بن أبي زائدة عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة ورواه يعقوب وسعد ابنا إبراهيم بن سعد وأبو صالح كاتب الليث ويزيد بن الهاد عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة قال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكره.

(الجواب):تقوى رواية الأويسي ومن تابعه متابعة زكريا وأما رواية بن الهاد ومن تابعه فلا تنافيها لأنها مبهمة وتلك مفسرة فبقيت رواية بن وهب وحده وقد قال أبو مسعود في الأطراف لا أعلم أحدا تابع بن وهب في قوله عن إبراهيم بن سعد عن عائشة والمشهور من رواية إبراهيم بن سعد عن أبي هريرة لكن أخرجه مسلم من حديث بن عجلان عن سعد بن إبراهيم بن سعد كما قال بن وهب فيحتمل أن يقال لعل أبا سلمة كان يرويه عن أبي هريرة وعن عائشة جميعا والله أعلم.

(الحديث السادس عشر): قال البخاري(40) حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان ح قال وقال يعقوب بن إبراهيم هو بن سعد حدثنا أبي عن أبيه حدثني الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله) وتعقبه أبو مسعود الدمشقي بأن رواية يعقوب تخالف رواية سفيان لأن يعقوب إنما يرويه عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ غفار وأسلم ومزينة ومن كان من جهينة خير عند الله من أسد وغطفان وكذا أخرجه مسلم

(الجواب):وهو تعصب غير جيد لأن يعقوب يحتمل أن يكون روى الحديثين جمعيا عن أبيه فالأول الذي أخرجه البخاري شاركه سفيان الثوري في روايته فرواه عن سعد بن إبراهيم والد إبراهيم بن سعد والثاني الذي أخرجه مسلم رواه عن أبيه عن صالح منفردا به والله أعلم.

الحديث السابع عشر): قال الدارقطني أخرج البخاري(41) أحاديث للحسن عن أبي بكرة منها حديث(إن ابني هذا سيد) الحديث. والحسن إنما يروي عن الأحنف عن أبي بكرة يعني فيكون ما أخرجه البخاري منقطعا.

(الجواب):الحديث مخرج عن الحسن من طرق عنه والبخاري إنما اعتمد رواية أبي موسى عن الحسن أنه سمع أبا بكرة وقد أخرجه مطولا في كتاب الصلح وقال في آخره قال لي علي بن عبد الله إنما ثبت عندنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث وأعرض الدارقطني عن تعليله بالاختلاف على الحسن فقيل عنه هكذا وقيل عنه عن أم سلمة وقيل عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا لأن الأسانيد بذلك لا تقوى ولا زلت متعجبا من جزم الدارقطني بأن الحسن لم يسمع من أبي بكرة مع أن في هذا الحديث في البخاري قال الحسن سمعت أبا بكرة يقول إلى أن رأيت في رجال البخاري لأبي الوليد الباجي في أول حرف الحاء للحسن بن علي بن أبي طالب ترجمة وقال فيها أخرج البخاري قول الحسن سمعت أبا بكرة فتأول أبو الحسن الدارقطني وغيره على أنه الحسن بن علي لأن الحسن عندهم لم يسمع من أبي بكرة وحمله البخاري وابن المديني على أنه الحسن البصري وبهذا صح عندهم سماعه منه قال الباجي وعندي أن الحسن الذي سمعه من أبي بكرة إنما هو الحسن بن علي بن أبي طالب قلت أوردت هذا متعجبا منه لأني لم أره لغير الباجي وهو حمل مخالف للظاهر بلا مستند ثم إن راوي هذا الحديث عند البخاري عن الحسن لم يدرك الحسن بن علي فيلزم الانقطاع فيه فما فر منه الباجي من الانقطاع بين الحسن البصري وأبي بكرة وقع فيه بين الحسن بن علي والراوي عنه ومن تأمل سياقه عند البخاري تحقق ضعف هذا الحمد والله أعلم وأما

احتجاجه بأن البخاري أخرج هذا الحديث من طريق أخرى فقال فيها عن الحسن عن الأحنف عن أبي بكرة فليس بين الإسنادين تناف لأن في روايته له عن الأحنف عن أبي بكرة زيادة بينه لم يشتمل عليها حديثه عن أبي بكرة وهذا بين من السياقين.

(الحديث الثامن عشر): قال الدارقطني أخرج البخاري(42) حديث محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير قال سألت بن عمرو بن العاص أخبرني(بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم) الحديث. وتابعه بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن عروة قلت لعبد الله بن عمرو وقال هشام عن أبيه قيل لعمرو بن العاص وكذا قال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عروة.

(الجواب):ذكر البخاري الاختلاف فيه كما ترى واقتضى صنيعه ترجيح رواية محمد بن إبراهيم التيمي لأن يحيى وهشاما ابني عروة اختلفا على أبيهما فوافق محمد بن إبراهيم يحيى بن عروة على قوله عن عبد الله بن عمرو وأكد ذلك أن لقاء عروة لعبد الله بن عمرو بن العاص أثبت من لقائه لعمرو بن العاص وقد صرح في حديث محمد بن إبراهيم التيمي بأنه هو الذي سأل وأما رواية هشام فليس فيها أنه سأل عمرو بن العاص فيحتمل أنه كان بلغه ذلك عن عمرو بن العاص لأن رواية أبي سلمة تدل على أن عمرو بن العاص حدث بذلك فكأنه بلغ عروة عنه فأرسله عنه ثم لقي عبد الله بن عمرو فسأله فحدث بذلك عنه ومقتضى ذلك تصويب صنيع البخاري وتبين بهذا وأمثاله أن الاختلاف عند النقاد لا يضر.

(الحديث التاسع عشر): قال الدارقطني فيما تتبعه على كتاب مسلم أخرج عن قتيبة عن الدراوردي عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة قال:(خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا)(43) فذكر الحديث. في قصة مدعم وقد أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم من حديث مالك عن ثور به وهو وهم قال أبو مسعود إنما أرادا منه قصة مدعم في غلول الشملة وأما حضور أبي هريرة عند النبي صلى الله عليه

وسلم في خيبر فصحيح من طرق أخرج فإن كان ثور وهم في قوله خرجنا فإن القصة المرادة من نفس الحديث صحيحة.

(الجواب):قد اعترف أبو مسعود بأن فيه وهما ونسبه إلى ثور وفيه نظر لأن إمام أهل المغازي محمد بن إسحاق وحديث بن إسحاق رواه عن ثور بن يزيد بهذا الإسناد ولفظه انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى عشية فنزل غلام يحط رحله فذكر الحديث فدل على أن الوهم فيه ممن دون ثور أو من ثور لما حدث به عن محمد بن إسحاق هذا قد أخرجه أبو عوانة في صحيحه وأبو عبد الله بن منده في كتاب الإيمان له على شرط الصحة وهو حجة في المغازي ورواياته هنا راجحة على رواية غيره والله أعلم.

(الحديث العشرون): قال الدارقطني أخرج البخاري(44) عن موسى عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن أبي برده قال:(بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن قال وبعث كل واحد منهما على مخلاف) الحديث. وفيه قصة قتل المرتد وقصة كيف تقرأ القرآن وقد خالفه الهيثم بن جميل فرواه عن أبي عوانة عن عبد الملك عن أبي برده عن أبيه.

(الجواب):هذا يقوي حديث موسى وذلك أن البخاري أخرج هذا الحديث من طرق منها عن أبي برده عن أبي موسى فاعتمد أن أبا برده حمله عن أبيه وترجح ذلك عنده بقرينه كونها تختص بأبيه فدواعيه متوفرة على حملها عنه كما تقدمت نظائره في حديث عروة عن عائشة وفي حديث نافع عن بن عمر في غير موضع وحديث الهيثم المشار إليه وصله الإسماعيلي عنه فقال حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا فضل بن يعقوب حدثنا الهيثم به موصولا وقد أخرج البخاري لعراك عن عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في صلاته صلى الله عليه وسلم وعائشة معترضة ثم أخرجه من حديث الزهري عن عروة عن عائشة فلم يعد حديث عراك مرسلا لما قررناه ولهذا لم يتعقبه الدارقطني فيما تعقب

والله أعلم طريق أخرى في هذا الحديث قال الدارقطني أخرج البخاري عن مسلم عن شعبة عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذا إلى اليمن فذكر الحديث وفيه سؤال أبي موسى له عن الشراب المتخذ من الشعير وقصة قتل اليهودي المرتد وسؤال معاذ أبا موسى كيف تقرأ وغير ذلك قال وتابعه العقدي ووهب عن شعبة ورواه النضر ووكيع وأبو داود عن شعبة عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده موصولا قال الدارقطني وقد رواه مسلم من حديث وكيع موصولا لكنه عنده مختصر فأحسب أن شعبة كان إذا حدث به بطوله أرسله وإذا اختصره وصله قلت قد رواه علي بن الجعد وغيره عن شعبة موصولا وبتمامه أخرجه الإسماعيلي في صحيحه عن إبراهيم بن هاشم وغيره عن على بن الجعد.

(الحديث الحادي والعشرون): قال الدارقطني وأخرجا(45) حديث الثوري وهشيم عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر أنه كان يقسم قسما أن قوله تعالى(هذان خصمان)(46) نزلت في الستة المبارزين يوم بدر وأخرجاه أيضا من حديث سليمان التيمي عن أبي مجلز عن قيس عن علي قال أنا أول من يجثو للخصومة قال قيس وفيهم نزلت هذان خصمان قال البخاري وقال عثمان عن جرير عن منصور عن أبي هاشم عن أبي مجلز قوله قال فاضطرب الحديث.

(الجواب):لا اضطراب فيه بل رواية منصور قصر فيها منصور وقد وصلها الطبراني عن بن حميد عن جرير أن كان بن حميد حفظ ووصلها أيضا الثوري وهشيم وأما حديث سليمان التيمي عن أبي مجلز فلا مخالفة بينه وبين حديث أبي هاشم عنه لأن رواية التيمي لحديث على غير رواية أبي هاشم لحديث أبي ذر فهما حديثان مختلفان وبهذا يجمع بينهما وينتفي الاضطراب. والله أعلم. تنبيه: قوله وأخرجاه من حديث سليمان التيمي وهم وإنما هو من أفراد البخاري.

(الحديث الثاني والعشرون): قال الدارقطني: فيما نقلت من خطه أخرجه البخاري(47) حديث الثوري عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وأخرجه أيضا من حديث شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن عثمان وقال: فيه وأقرأ أبو عبد الرحمن في امرأة عثمان حتى كان الحجاج. قال الدارقطني: فقد اختلف شعبة والثوري في إسناده فأدخل شعبة بين علقمة وبين أبي عبد الرحمن سعد بن عبيدة وقد تابع شعبة على زيادته من لا يحتج به وتابع الثوري جماعة ثقات.

(الجواب) : قد قدمنا أن مثل هذا يخرجه البخاري على الاحتمال لأن رواية الثوري عند جماعة من الحفاظ هي المحفوظة وشعبة زاد رجلا فأمكن أن يكون علقمة سمعه من سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن ثم لقي أبا عبد الرحمن فسمعه منه قال الدارقطني: وقال حجاج بن محمد عن شعبة لم يسمع أبو عبد الرحمن من عثمان شيئا قال: وقد أخرج البخاري حديث من طريق أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن عن عثمان. الحديث الذي أشار إليه ذكره البخاري في كتاب الوقف تعليقا وهو مناشدة عثمان للصحابة عند حصاره في ذكر حفر بئر رومة وغير ذلك من مناقبه والحديث عند البخاري من طرق غير هذا موصولة فلهذا لم أفرده بالذكر لأنه إنما أورده اعتبارا وأخرج أبو عوانة في صحيحه حديث أبي عبد الرحمن السلمي في القرآن من طريق حجاج عن شعبة وقال في أثره قال شعبة ولم يسمع أبو عبد الرحمن من عثمان ثم أخرج أبو عوانة حديث الثوري ومتابعة عمرو بن قيس الملائي ومحمد بن أبان وغيرهما له على إسقاط سعد بن عبيدة والحديث مخرج في الكتب الأربعة من السنن من هذا الوجه فرواه أبو داود من حديث شعبة فقط ورواه النسائي والترمذي وابن ماجة من حديث شعبة وسفيان معا ونقل الترمذي عن علي بن عبد الله بن المديني ترجيح حديث سفيان على حديث شعبة وأما كون أبي عبد الرحمن لم يسمع من عثمان فيما زعم شعبة فقد أثبت غيره سماعه منه.

(الحديث الثالث والعشرون): قال الدارقطني أخرج البخاري(48) حديث هشام بن يوسف عن بن جريج عن بن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه:(أذهب يا رافع إلى بن عباس فقل إن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لتعذبن أجمعون)فقال بن عباس:(مالكم ولهذه إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهودا فسألهم عن شيء) الحديث. قال: وأخرجه أيضا من حديث حجاج عن بن جريج عن بن أبي مليكة عن حميد بن عبد الرحمن أنه أخبره أن مروان بهذا قال وأخرج مسلم حديث حجاج وحده

(الجواب):وسياقه عند مسلم أن مروان قال أذهب يا رافع لبوابه إلى بن عباس فذكر مثله إلى أن قال إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب فذكره بنحوه وقد اختلف هشام بن يوسف وحجاج بن محمد في شيخ بن أبي مليكة هشام يجعله علقمة بن وقاص وحجاج يجعله حميد بن عبد الرحمن وقد تابع عبد الرزاق هشام بن يوسف وتابع حجاجا محمد بن عبد الملك بن جريج عن أبيه قال إسحاق بن راهويه في مسنده حدثنا روح بن عبادة حدثنا محمد بن عبد الملك بن جريج عن أبيه عن بن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان بعث إلى بن عباس فذكره والظاهر أن هذا الاختلاف غير قادح لاحتمال أن يكون بن أبي مليكة سمعه منهما جميعا والله أعلم.

(الحديث الرابع والعشرون): قال الدارقطني أخرج البخاري(49) حديث جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر حديث(ما تعدون من شهد بدرا فيكم) وأخرجه من حديث حماد ويزيد بن هارون معا عن يحيى بن سعيد عن معاذ مرسلا ولم يسنده غير جرير وقد خالفه الثوري فقال عن يحيى عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج.

(الجواب):سياق البخاري يعطي أن طريق حماد متصلة فإنه قال حدثنا سليمان يعني بن حرب حدثنا حماد يعني بن زيد عن يحيى هو بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع وكان رفاعة من أهل بدر وكان رافع من أهل العقبة وكان يقول لابنه يعني لرفاعة ما

يسرني أني شهدت بدرا بالعقبة قال سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وروى بن منده في المعرفة من طريق عمارة بن غزية عن يحيى بن سعيد عن رفاعة بن رافع كذا عنده ولعله عن بن رفاعة بن رافع قال سمعت أبي يقول إن جبريل قال وهذا يقوي رواية جرير في الجملة والله أعلم وأما حديث الثوري الذي أشار إليه فرواه بن ماجة وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل والطبراني وابن حبان من طريقه وكذا رواه أبو يعلى من حديث علي بن مسهر عن يحيى بن سعيد به وهو حديث آخر غير حديث رافعة بن رافع. والله أعلم.

(الحديث الخامس والعشرون): قال البخاري(50) حدثنا محمد حدثنا أبو تميلة يحيى بن واضح عن فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق تابعه يونس بن محمد عن فليح وحديث جابر أصح هكذا في جميع الروايات التي وقعت لنا عن البخاري إلا أن في رواية أبي عليبن السكن تابعه يونس بن محمد عن فليح عن سعيد عن أبي هريرة وحديث جابر أصح كذا وقع عنده قال أبو علي الجياني والظاهر أن هذا الإصلاح من قبله قلت والتخليط فيه ممن دون البخاري وقد ذكره أبو مسعود الدمشقي في الأطراف محررا فذكر حديث أبي تميلة وبعده تابعه يونس بن محمد عن فليح وقال محمد بن الصلت عن فليح عن سعيد عن أبي هريرة قال البخاري وحديث جابر أصح وكذا حكاه أبو نعيم في مستخرجه وحكى البرقاني نحوه ثم قال أبو مسعود متعقبا عليه إنما رواه يونس بن محمد عن فليح عن سعيد عن أبي هريرة لا عن جابر قال وكذا رواه الهيثم بن جميل عن فليح قلت ولم يصب أبو مسعود في دعواه أن رواية يونس بن محمد إنما هي من مسند أبي هريرة فقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن يونس بن محمد من مسند جابر كما قال البخاري ومن طريقه أخرجه الإسماعيلي وكذا رواه أبو جعفر العقيلي في مصنفه من حديث يونس وكذا قال الترمذي إن أبا تميلة ويونس بن محمد روياه عن فليح عن سعيد عن جابر نعيم رويناه من طريق محمد بن عبيد الله بن المنادى وأحمد بن الأزهر وعلي بن معبد ثلاثتهم عن يونس بن محمد عن فليح عن

سعيد عن أبي هريرة كما قال أبو مسعود وقوى بهذا أن لسعيد بن الحارث فيه شيخين وقد ذكر أبو مسعود أيضا أن محمد بن حميد رواه عن أبي تميلة فصيره من مسند أبي هريرة ولكن محمد بن حميد لا يحت ج به.

الباب الثالث: من أنكر أحاديث صحيح البخاري ومسلم في عصرنا الحاضر.

وقبل الخوض في الردود على من ينكر الأحاديث الصحيحة الثابتة في صحيح البخاري ومسلم، ينبغي لكل طالب للعلم أن يعلم الأسباب التي ينتقد بها من يزعم أنه من علماء هذه الأمة الشريفة:

(1) الكشف الصوفي: فالكشف من بدع المتصوفة الضالة المضلة ولا يبعد أن يكون كفرا، لأن فيه ادعاء لعلم الغيب، وقد أباح المتصوفة لأنفسهم عن طريق الكلام في جوانب الدين المختلفة، ونسبوا إليه أمورا متعددة، ومن ذلك أنهم جعلوه من الوسائل التي ينتقدون بها الأحاديث فيصححون ويضعفون ما بدا لهم. وللقيام بهمة نقد المرويات لا يحتاج هؤلاء إلى دراية ما صنفه المحدثون من قواعد وضوابط للحكم على الأحاديث- تصحيحا وتضعيفا- حيث يتصدى للحكم عليها من لا دراية له بعلم الحديث البتة.

(2) المكتشفات العلمية الحديثة: فقد ذهب بعض المفتونين بالحضارة المعاصرة إلى مقارنة نتائج المكتشفات في المادة والنبات وغيرها بما جاء في السنة النبوية في هذه الأبواب فما وافقها يقبل عندهم وإن حكم المحدثون بضعفه أو وضعه، وما خالفها يرد عندهم وإن كان قد سبق الحكم عليه بالصحة.

(3) ومن الأسباب المهمة لرد الأحاديث الصحيحة هو مخالفة الحديث للعقل، وهم يقدمون العقل على النقل، وإن كان النقل في الصحيحين أو أحدهما. مع أن النقل لا يعارض مع العقل الصحيح.

(الحديث الأول):

قال المستشرق أبو رية في كتابه (أضواء على السنة المحمدية)(51) وروى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد أذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيئ أحب

إلي مما افترضته عليه....)(52) الحديث. قال: ومن له حاسة في الحديث يجد في هذا الحديث رائحة إسرائيلية ثم أتى في الحاشية فيقول: تفرد البخاري بإخراج هذا الحديث دون مسلم وسائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد طعن الأئمة في هذا الحديث، وبعد ذكر ما اعتبره طعنا قال: ويبدو لي أن أستاذ أبا هريرة في هذا الحديث وهو وهب بن منبه فقد وقع في الحلية من ترجمة هذا الكاهن(وهب): وإني لأجد في التوراة أن الله يقول:(ما ترددت عن شيئ فقط ترددي عن قبض روح المؤمن).

(الجواب): أن هذا الحديث خرجه البخاري في صحيحه فهو صحيح، ولا يخل بصحته أن كان بعض رجاله قد انتقدوا وهو خالد بن مخلد شيخ البخاري وشريك بن عبد الله، لأن الإنسان أعرف بشيوخه من غيره، وإذا تعارض قول البخاري في رجل وقول غيره فالقول ما قاله البخاري. ولم ينفرد بالحديث أبو هريرة فقد رواه غيره من الصحابة منهم عائشة وعلي وأبو أمامة وابن عباس وأنس وحذيفة ومعاذ بن جبل ولم يتفرد به رواته فقد روي من طرق كثيرة وإن كانت لا تخلو من ضعف ولكنها بعضها بعضا. وقد صدع بهذا الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو وصفه بأمير المؤمن في الحديث قال في الفتح:(وإطلاق أنه أي هذا الحديث لم يرد الا بهذا الإسناد مردود.... إلى أن قال: ولكن لحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلا) ثم شرع يسرد هذه الطرق ومن خرجها من أصحاب الكتب، ومن رويت عنه من الصحابة، وهكذا يتبين لنا أن الحديث لا مطعن يعتد به في مسنده.

وأما من ناحية المعنى فلا شيئ فيه الا ما كان من قوله(وما ترددت... الخ) وفي القرأن المتواتر والسنة الصحيحة من أمثال هذا الحديث شيئ غير قليل، فلو رددنا هذا بسبب أنه ثكل لرددنا الكثير من الايات القرأنية والأحاديث النبوية الصحيحة السمحة.

(الحديث الثاني):

قال المستشرق أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية تحت عنوان(حفظ الوعائين) أخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة قال:(حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين فأما أحدهما فبثثته، وأما الأخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم) وهذا الحديث معارض لحديث رواه الجماعة بألفاظ متقاربة عن علي رضي الله عنه فقد سئل هل عندكم كتاب؟ فقال:(لا الا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة) وكذا يعارض ما رواه البخاري عن عبد العزيز بن رفيع قال:(دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال له شداد: أترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيئ؟ فقال: ما ترك الا ما دفتين، ولو كان هناك شيئ يؤثر به النبي صلى الله عليه وسلم أحد خواصه، ويحجبه عن سائر أصحابه لكان على أولى الناس جميعا بذلك. وكيف يكون ذلك؟ وأين يذهب ما وراء الصحيحين عن حذيفة(قام فينا لسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه إلى قيام الساعة الا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه) وقد قال بعض العلماء– كما في تاريخ ابن عساكر –(إن اعتقاد ذلك– أي أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم عن جميع الصحابة شيئا يؤدي إلى نسبة الخيانة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ الله)

(الجواب): إن هذا الحديث زواه الإمام البخاري في صحيحه، وهي في غاية الصحة رواية ودراية، والمراد بالوعائين نوعان من الأحاديث التي تلقاها عن النبي صلى الله عليه وسلم فالكلام من قبيل المجاز وهو مجاز معروف. وأحد الوعائين– وهو ما يتعلق بأحاديث الأحكام والأداب والمواعظ– قد بلغه حتى لا يكون كاتما وأما الأخر وهو ما يتعلق بالفتن والملاحم وأشراط الساعة، والإشارة إلى ولاة السوء، فقد أثر أن لا يذكر الكثير منه حتى لا يكون فتنة لسامعه، أو يسبب له التحديث به الضرر في نفسه أو ولده أو ماله من أمراء السوء.

وأيا كان تأويل الحديث فليس فيه ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه بشيئ على ذلك دون غير، حتى لا يرتب المؤلف أبو رية على الحديث

كل هذه الإشكالات التي قالها وهي غير ذات موضوع، ولم نعلم أحدا قط من علماء اللغة والبلاغة والأدب اعتبر هذا الأسلوب مفيدا للتخصيص، اللهم الا في ذهن هذا المؤلف الذي يزعم أنه أديب، وما هو من أهل الأدب في شيئ.

أما ما ذكره من حديث ابن عباس وعلي، فلا دخل لهما بما ذكرناه في تأويل حديث أبي هريرة، فحديثه في واد وحديث علي وابن عباس في واد أخر، ذلك أن الشيعة ومن على شاكلتهم كانوا يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم خص أل بيته ولا سيما عليا بأشياء لم يطلع غيرهم عليها، فمن ثم سأل السائل عليا، وأجابه على بما هو الحق والواقع.

وأيضا فلا تعارض قط بين حديث أبي هريرة وحديث حذيفة:(قام فينا رسول الله.....) الحديث. لأن حذيفة لم يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه به، ولا أن غيره لم يحفظ مثل ما حفظ، بل عبارته تدل على أن غيره حفظه، وتمام الحديث في صحيح مسلم:(قد علمه أصحابي هؤلاء وأنه يكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكر كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رأه عرفه))

ولا يخفى على القارئ أن أبا رية لم يذكر تتمة الحديث لأنها ترد عليه زعمه وتجعله يغص بريقه.

(الحديث الثالث): قال: وروى البخاري وابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه داء والأخر شفاء) (53) وقد علق في الحاشية سماه(معركة الذباب) بين مجلة لواء الإسلام ومجلة الدكتور وانتصر فيها امجلة الدكتور وأنحى بالأئمة والتثريب على المصححين لهذا الحديث ونبزهم بالألقاب.

(الجواب): وإليك مفصل الحق في هذا الحديث الذي ثارت حوله العجاجة والخصومة بين المثبتين والنافين. وقد بذل علمائنا الأوائل– رحمه الله– الجهد في رد هذه الشبهة فقالوا لا مانع عقلا أن يجمع الله الداء والدواء في شيئ واحد، بل هو أمر مشاهد معروف، فالنحلة تلقي السم من أسفالها وتخرج عسلا فيه شفاء للناس

من فيها، والحية القاتل سمها يدخل لحمها في الترياق الذي يعالج به السم، وإن الله الذي هدى النحلة إلى أن تبنى بيتها على أعظم نظام هندسي، وهدى النملة أن تدخر قوتها لأوان حاجتها، وأن تفلق الحبة نصفين لئلا تنبت، لقادر على أن يلهم الذباب أن تقدم جناحا وتؤخر أخرى، وحاول بعضهم أن يجيب فقال: إن الحديث من قبيل المجاز، وأن المراد بالداء داء الكبر، وبالدواء حمل النفس على التواضع بتناول ما سقط فيه الذباب.

يقع الذباب على المادة العذرة المملوءة بالجراثيم التي تنشأ منها الأمراض المختلفة فينقل بعضها بأطرافه، ويأكل بعضا أخر فتتكون في جسمه مادة سامية يسميها علماء الطب(مبعد البكتريا) وهي تقتل كثيرا من جراثيم الأمراض، ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير في جسم الإنسان في حال وجود مبعد بكتريا هذا، وإن هناك خاصة في أحد الجناحين هي أن يمول مبعد البكتريا إلى ناحيته، وعلى هذا إذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه، فإن أقرب مبعد البكتريا لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبعد البكتريا الذي يحمله الذباب في جوفه قريبا من أحدنا حية، فإذا هناك داء فدواءه قريب منه.

وقد كثر التعرض لهذا الحديث وخصوضا من جانب أطباء مكذبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض، وتمسك بعض الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث، وكنا نود أن نفهم الحديث على أسس ثلاث:

1- عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث، وهم أعلم كيف يستبعدون الأحاديث المكذوبة.

2- محاولة البحث العلمي بافتراض صحة الحديث للوصول إلى الحقائق أنبأنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم(وما ينطق عن الهوى إن هوالا وحي يوحى)(54)

3- عدم الخوض في موضوع مادة الحديث قبل الرجوع إلى المراجع العلمية الكافية عن الحشوات وعن طفيليات الحشرات.

(الحديث الرابع) عرض لرأي الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في أنه لا يأخذ بحديث الأحاد مهما بلغت درجته من الصحة في نظر المحد ثين إذا خالف العقل أو القرآن أو العلم، وأنه أنكر لذلك حديث سحر لبيد بن الأعصم النبي صلى الله عليه وسلم واعتمده في هذا على:

1- أن الحديث آحادي فلا يأخذ به في العقائد وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يأخذ في نفيها الا باليقين ولا يكفي بالظن.

2- وأن الحديث يخالف القرآن الكريم في نفي السحر عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث نسب القول باثبات السحر له إلى المشركين ووبخهم على زعمهم هذا قال تعالى:(وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحورا، انظر كيف ضربوا لك الأمثال)(55) الأية. وقال:(نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذاهم نجوى يقول الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحورا)(56) الأية.

3- أنه لو جاز على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخيل أنه يفعل الشيئ وما فعله لجاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا وهو لم يبلغه، أو أن شيئا ينزل عليه ولم ينزل عليه واستحالة ذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان.

(الجواب):

1- إن الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق، والأستاذ الإمام محمد عبده ليس أبا عذرتها في هذا، وإنما هو متابع لمن سبقه من شيوخ الإعتزال وأمثالهم وإذا كان المؤلف لا يعرف الحق الا بالرجال فالنجاربه في هذا، ولنبين له أن الأخذ بالحديث الصحيح وعدم رده وتأويله بما يوافق العقل والنقل المتواتر مذهب جماهير العلماء سلفا وخلفا، ورد الأحاديث لأدنى شبهة وتوهم مخالفته للعقل أو القرأن أو العلم ليس من التحقيق العلمي في شيئ، والأحاديث الصحيحة الموثوقة بها، وإن كانت لا تفيد يقينا في العقائد الثانوية تفيد غلبة ظن فيها ونحن لا نخالف في أن

العقائد الأساسية أو الأولية كإثبات الصانع والتوحيد لا يكتفى فيها الا بما يفيد القطع واليقين.

ولئن كان الإمام محمد عبده قد أنكر حديث السحر فقد أثبته واعترف بصحته رواية ودراية أئمة هم أرسخ قدما في العلم، والجمع بين المعقول والمنقول منه كالأئمة المازري والقاضي عياض، وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والحافظ ابن حجر العسقلاني والألوسي المفسر وغيرهم كثير، والذين صححوا حديث السحر قالوا: إن ما حدثه للنبي صلى الله عليه وسلم نوع من الأمراض والعوارض البشرية التي تجوز على الأنبياء، وأن الأمر لم يخرج عن كونه مرضا جسمانيا.

2- وأما أن الحديث يعارض القرآن الكريم فغير مسلم لأن المشركين لم يريدوا بقولهم:(إن تتبعون الا رجلا مسحورا) انه عليه السلام سحر حتى أدركه بعض التغيير أياما ثم شفاه الله وإنما أرادوا أنه يصدر عن خيال وجنون في كل مايقول ويفعل وأن ما جاء به ليس من الوحي فغرضهم إنكار رسالته، ورمية بالجنون هذا أمر واضح جلي لكل من تتبع النصوص القرآنية التي تعرضت لهذا، فالغرضان مختلفان والموضوعان متباينان.

3- وأما قولهم: إذا جاز أن يتخيل ما ليس بواقع واقعا في غير أمور الدين لجاز ذلك في أمور الدين فهذا مردود. أن السم أثر في جسمه لا في عقله ولو سلمنا لهم ما تدل عليه الرواية بحسب ظاهرها لما تم لهم ما قالوا، لأن قياس أمور الوحي والرسالة على أمور الدنيا قياس مع الفارق، فإنه بالنسبة لأمور الدين معصوم من الخطأ والتغيير والتبديل ولا عصمة له في أمور الدنيا فللرسول اعتباران: اعتبار كونه بشرا، واعتبار كونه رسولا، فالإعتبار الأول يجوز عليه ما يجوز على سائر البشر ومنه أن يسحر، وبالإتبار الثاني لا يجوزعليه ما يخل بالرسالة لقيام الدليل على العصمة منه، ثم مارأى المنكرين للحديث فيما ثبت في القرآن الكريم منسوبا إلى موسى عليه الصلاة والسلام من أنه تخيل في حال السحرة وعصيهم أنها حيات تسعى، فهل ينكرون القرآن المتواتر؟ وإذا كان لا مناص لهم من التسليم بما جاء به

القرأن فلم اعتبروا التخيل في حديث السحر منافيا للعصمة ولم يعتبروه في قصة موسى عليه السلام منافيا للعصمة؟

لقد شاء الله أن يبتلي أنبياءه بشتى الأنواع ليعلم الناس أنهم بشر مثلهم فلا يرفعوه إلى مقام الألوهية، وليزداد ثواب الأنبياء وتعظم منازلهم عند الله بما يقاسمون في سبيل تبليغ الدين والرسالات.

(الحديث الخامس) طعن أبو رية في حديث الإسراء والمعراج. في كتابه أضواء على السنة المحمدية(57) جعل مراجعة موسى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء والمعراج من الإسرائيليات وجهل الذين يعتقدون صحة ذلك واعتبرهم من حشوية أخر الزمان إلى أخر ما نضح به قلمه من نبز وسباب.

(الجواب): إن الرمي بالقول على عواهنه من غير حجة وبرهان لا يليق بالباحث المنصف المتثبت، وهل يقتضي ذكر موسى عليه السلام ومراجعته للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج كي يخفف الله سبحانه على أمته الصلوات أن يكون من الإسرائيليات؟ وعلى منطق المؤلف تكون كل الأحاديث التي ذكرت فضيلة لموسى أو لنبي من أنبياء بني إسرائيل من الإسرائيليات. واعتقد أن هذا لا يقوله عاقل فضلا عن باحث، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بني اسرائيل لجاز في العقل أن يكون ذكر موسى عليه السلام من دسهم، أما الحديث مروي عن بضع وعشرين صحابيا ليس فيهم ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلمة أهل الكتاب فقد أصبح الإحتمال بعيدا كل البعد إن لم يكن غير ممكن في منطق البحث الصحيح، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه(التنوير في مولد السراج المنير) الصحابة الذين روى عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل لهم إلى خمسة وعشرين صحابيا، واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره ووصفه بالإفادة والجودة(58) فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدرس مجال في هذا؟ وقد خرج حديث المعراج والإسراء البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة، وقد

استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير في تفسيره فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين، ولم ينقل عن أحد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لنبينا عليهما السلام دسيسة اسرائيلية، فهل خفي على علماء الأمة جميعهم ماتخيله هذا المؤلف؟ وكان الأولى به أن يبحث عن السر في المراجعة وحكمتها بدل التشكيك فيها، ومحاولة بيان استلزامها لنفي علم الله- جل شأنه- وعلم رسوله مبلغ احتمال الأمة وقدرتها على أدائها قبل التخفيف. وأي ضير في أن يعلم موسى عليه السلام بما سبق إليه من يجربة الناس، ومعالجة بني إسرائيل أشد المعالجة ما خفي على نبينا عليه السلام حتى أشار عليه بالرجوع إلى ربه وطلب التخفيف. حتى يترتب عليه المؤلف مازعم ثم من قال أن فرض الصلوات خمسين وتخفيفها إلى خمس بسبب ابمراجعة تستلزم أن يكون الله جل شأنه لايعلم مبلغ قوة احتمال عبادة على أدائها حتى رتب عليه ما رتب؟

الجواب: إن الله سبحانه وتعالى يعلم كل ما كان وما يكون ويعلم أن نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم سيسأله التخفيف على العباد بسبب هذا السؤال سيخفف الصلوات من خمسين إلى خمس، ولذلك سر وحكمة، وهي اظهار رحمة الله بهذه الأمة ومنته عليها، بدليل قول الرب تعالى(أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) كما أن فيها إظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه بقبول شفاعته في التخفيف عن أمته، وبيان رأفته ورحمته بأمته بستماعه إلى مشورة أخيه موسى، ولا تسل عما في المراجعة من تكرار المناجاة بين العبد والمعبود والمحب والمحبوب.(59)

(الحديث السادس) زعمه أعني أبارية أن حديث(لاتشد الرحال.....) من الإسرائيليات: في كتابه أضواء على السنة المحمدية قال: الإسرائيليات في فضل بيت المقدس وذكر بعضا منها وفي صفحة129 ذكر أن الأحاديث الصحيحة كانت في أوائل الأمر في فضل المسجد وفضل مسجد الرسول، ولكن بعد بناء قبة الصخرة

ظهرت أحاديث في فضلها وفضل المسجد الأقصى، واعتبر ذكر المسجد الأقصى في حديث:(لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى) من إسرائيليات الموضوعة، واستند في دعواه إلى ماروي عن ابن عباس أن امرأة اشكت شكوى فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس، فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجائت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتها بذلك فقالت: إجلسي فكلي ما صنعت وصلي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فإني سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:(صلاة فيه أفضل من ألف فيما سواه الا مسجد الكعبة) قال: ولو أن المسجد الأقصى كان قد ورد فيه تلك الأحاديث لما منعت ميمونة هذه المرأة من أن توفي بنذرها.

الجواب على هذه المزاعم:

1- إننا لاننكر أنه وضع في فضل بيت المقدس والصخرة أحاديث وأثار كثيرة مما لاتعد ولاتحصى بالأنامل، ولكن الذي ننكره حقا أن يكون ذكر بيت المقدس في حديث(لا تشد الرحال..) من قبيل الوضع والدس، واعتقد أنه من الإسراف في الحكم والشطط في البحث أن يجرد باحث بيت المقدس من الفضيلة، ويعتبر كل ما ورد فيه من صنع بني ن قبيل الوضع والدس، واعتقد أنه من الإسراف في الحكم والسطط في البحث أن يجرد باحث بيت المقدس من الفضيلة، ويعتبر كل ما ورد فيه من صنع بني اسرائيل وكيف وفضل بيت المقدس لم يثبت بالأحاديث الصحيحة فحسب؟ ولكنه ثبت ثبوتا قطعيا بالقرآن المتواتر الذي لا يتطرق إليه الشك والإرتياب قال تعالى:(سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من اسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله.....)(60) فلم يعد ثمت مجال للحدس الظن الذي لم يقم على أساس ولا يستند إلى دليل وبيت المقدس قبة الأنبياء السابقين ومهاجرهم، وثاني المسجد التي وضعت في الأرض وشرفت بناءه حفيد الخليل يعقوب عليهما الصلاة والسلام وجدده نبي الله سليمان عليه السلام وإليه توجه المسلمون في صلاتهم بعد الهجرة بضعة عشر شهرا، فكيف يستبعد المؤلف أن يذكر هو ومسجد مكة والمدينة

في حديث وإن كان دونهما في الفضل؟ والمساجد الثلاثة يجمعها أنها أثار، وتحمل ذكريات مجيدة لبعض أنبياء الله ورسله الكرام، ولو أن المؤلف كان باحثا حقا لنقده من وجهه سنده ومتنه نقدا علميا صحيحا بدل أن يلقي بالقول جزافا.

2- هذا الحديث رواه الإمامان الجليلان : الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما وهما منهما في علو كعبهما في التصحيح، ومعرفتهما التامة بالرجال والعلل، ونظرهما الثاقب في الكشف عن خفايا الأحاديث وعللها، ورواه الإمام أحمد في مسنده، والطبراني في المعجم الكبير والأوسط، وروي عن من الصحابة كعمر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي بصرة الغفاري وأبيه وأبي الجعد، وقد تلقت الأمة هذا الحديث بالقبول، واحتج به أئمة فطاحل لا يحصيهم العد ولا يشق لهم غبار في النقد والبصر بالأحاديث من عصر السلف إلى وقتنا الحاضر، فهل كل هؤلاء خفي عليهم مالاح وظهر لهذا المؤلف.

3- أما ماذكره من قصة المرأة التي نذرت أن تصلي في بيت المقدس إن شفاها الله إلخ.... فمما يضحك الثكلى! ومن قال: يامن زعمت أنك طوفت في عشرات الكتب والمراجع أن الفتوى على خلاف ما يدل عليه حديث أو العمل على خلافه يكون دليلا على كذبه؟ لو كان الأمر كذلك لحكمنا على كثير من الأحاديث بالوضع والإختلاف.

(الحديث السابع) أما حديث الجساسة فقد فقد رواه الإمام مسلم في صحيحه(61) عن فاطمة بنت قيس وذلك(أن النبي أمر مناديا ينادي: الصلاة جامعة، فلما سلم رسمل الله قال: ليلزم كل إنسلن مصلاه، ثم قال: أتدرون لما جمعتم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال إني جمعتكم لرغبة ولا رهبة، ولكن جمعتكم لأن تميم الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم) وحدثني حديث وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، ثم ذكر لهم قصة تميم وخروجه مع جماعة من قومه راكبين سفينة فضلوا شهرا في البحر حتى وصلوا إلى جزيرة في البحر فنزلوها فوجدوا دابة عظيمة

فكلمتهم ثم دلتهم على شخص بمكان الجزيرة فذهبوا إليه فحدثهم بحديث طويل وأنه المسيح الدجال.

وليس للمؤلف سلف في التشكيك في هذا الحديث الا ما كان من المرحوم محمد السيد رشيد رضا الذي نقل المؤلف كلامه في كتابه، وكلام السيد رشيد رضا ليس فيه التصريح بكذب القصة، ولا بتكذيب تميم، وكل ما فيه محاولة اثبات أن سكوت النبي صلى الله عليه وسلملا يدل على صدق القصة وأن مثل هذا لا يدخل تحت التقرير، وأن تصديق الكاذب فيما لا يحل بأمر الدين ولا يترتب عليه حكم شرعي أمر جائز على الأنبياء.

(الجواب):

أ- إن حديث الجساسة رواه الإمام مسلم في صحيحه ورجاله ثقات عدول لا مطعن في واحد منهم، وقد رواه غير مسلم: الإمام أحمد وأبو يعلى وأبو داود وابن ماجة، ورواه غير فاطمة بنت من الصحابة أبو هريرة وعائشة وجابر رضي الله عنهم فالحديث لم ينفرد به مسلم ولا انفردت بروايته فاطمة بنت قيس.

وقد حدث به النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر في جمع من الصحابة واعتبره موافقا لما كان يحدثهم به عن المسيح الدجال وغيره من أشراط الساعة الكبرى، فالقول بأنه لا يدخل تحت التقرير غير مسلم، وقد اعتبر الأئمة رواية النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عنه من مناقبه، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة في ترجمة تميم الداري رضي الله عنه:(مشهور في الصحابة كان نصرانيا وقدم المدينة فأسلم وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال فحدث النبي صلى الله عليه وسلم عنه بذلك وعد ذلك من مناقبه)

وعمر رضي الله عنه وهو العبقري الملهم المحدث كان لايخفى عليه حال تميم ومنزلته من الصلاح والإستقامة والإخلاص وهو القائل:(لست بخب والخب لا يخدعني) فكيف يجوز في العقول أن يرمي مثل هذا بالكذب والدس والإفساد في الدين.

ب- ما زعمه السيد رشيد رضا من أن هذا لا يدخل تحت التقرير ممنوع قال الحافظ في فتحه: وقد اتفقوا على أن تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لما يفعل بحضرته أو يقال ويطلع عليه بغير انكار حال على الجواز، لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يترتب على الإنكار فلا يقر على الباطل) وما زعمه أيضا من أن هذا ليس من أمور التي يعصم الأنبياء عن تصديق الكاذب فيها أشد منها منعا ولاأدري أنا ولاغيري كيف اعتبر الإخبار بأشراط الساعة من أمور الدين؟ ولو كان ما حدث به تميم كذبا لما سكت الوحي عن بيان الحق فيها أخبر به كما حدث في كثير من الأحيان حينما كان المنافقون وأضرابهم يقولون خلاف مايبطنون فينزل الوحي فاضحا لهم ومبينا كذبهم.

(الحديث الثامن) ذكر في أضواء على السنة المحمدية ص131 تحت عنوان(اليد اليهودية في تفضيل الشام) حديث الصحيحين المرفوع لفظه:(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) قال: روى البخاري:(وهم بالشام)

(الجواب): ونحن لا ننكر في أن بلاد الشام وغيرها من بلدان الإسلام قد وضعت فيها أحاديث كثيرة بداعي العصبية الوطنية، وقد سبق أئمة الحديث وصيارفته إلى بيان ذلك منذ مئات السنين، ولكن الذي ننكره على المؤلف الطعن في الأحاديث الصحيحة بالظن من غير تثبت، أو اعتمادا على تأويل باطل للحديث.

وليس أدل على هذا من ذكره هذا الحديث واعتباره من صنع اليد اليهودية وأي فائدة تعود على اليهود من هذا وبلاد الشام ليست بلادهم وإنما هي بلاد العرب قبل أن تكون بلادا لهم؟ وهل يعقل من اليهود من سبيل التزلف إلى بني أمية أن يضعوا هذا الحديث الذي يدل على بقاء الإسلام وبقاء سلطانه، وبقاء هذه الطائفة الثابتة على الحق من الأمة المحمية إلى يوم القيامة؟ وكيف وهم يدعون أنهم شعب الله المختار- كذبا وزورا- وأنهم أحق الشعوب بالبقاء، ولقد وصفهم المؤلف بالدهاء

والمكر، فكيف يضعون أحاديث تعلى بنيان أعدائهم وتقوض بيوتهم من أساسه؟ الحق أن المؤلف يريد منا أن نلغي عقولنا.

وكذلك قول بعض العلماء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا:(لايزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) أن المراد بهم أهل الشام، لاينهض للطعن في الحديث وذكر مع أحاديث نبه العلماء على وضعها في قرن واحد.

ومن عجيب أمر هذا المؤلف أنه يعتمد في نقل بعض الأحاديث التي توافق هواه على كتب الأدب كنهاية الأرب وكتب التاريخ(كامعجم في تلخيص أخبار المغرب) على حين يطعن في أحاديث في الصحيحين بالوضع مادامت على غير هواه. ولا أدري كيف غاب عنه أن كتب الأدب والتواريخ ونحوها تجمع الغث والسمين والمقبول والمردود، فكيف يعتمد عليها فيما ينقل؟ الا أن المعمول عليه في السنة هي كتب الحديث المعتمدة التي تبرز الأسانيد أو تعزو الأحاديث وتميز بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود.

(الحديث التاسع) قال أبو رية في أضواء على السنة المحمدية (ص174) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة(إن الله خلق أدم على صورته).

وهذا الكلام قد جاء في الاصحاح الأول من التوراة العهد القديم ونصه هناك: وخلق الله الإنسان على صورته، على صورت الله خلقه. وذكر في الحاشية أن من روايات هذا الحديث: وطوله- أي أدم- ستون ذراعا، وفي رواية على صورة الرحمن، وقد انتقد هذا الحديث من ابن حجر في الفتح قال: وبشكل على هذا من الأن الأثار للأمم السابقة كديار عاد وثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة في الطول على حسب ما يقتضيه هذا الترتيب الذي ذكره أبوهريرة.

(الجواب): أن الحديث مروي في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة المعتمدة، ولا يضير أبا هريرة أن يكون مارواه من الحديث موافقا لما في التوراة، فكل

من عند الله ووحيه، والقرأن والسنة الصحيحة هما المهيمنان والشاهدان على الكتب السابقة فما جاء في القرأن مصدقا لما في التوراة والإنجيل وتصديق الإنجيل لما في التوراة:(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جائك من الحق)(62) فالحديث صحيح من جهة سنده ومن جهة متنه ومعناه، سواء أكان الضمير في صورته رمجعا لله- عز وجل- كما في الرواية الأخرى:(خلق الله أدم على صورة الرحمن) فإن كان الضمير لأدم- وهو الراجح الذي ينبغي أن يصار إليه على مقتضى القواعد العربية- فالأمر ظاهر، ويكون المعنى إن الله أوجده على هذه الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالا ولا تردد في الأرحام أطوارا، كذريته بل خلقه رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح، وفي هذا أبلغ في الرد على الطبيعين والماديين، وإن قلنا إن الضمير يعود على الباري جل وعلا فالكلام في هذا معروف مشهور، فمذهب السلف الإيمان به كما ورد، وإمراره من غير تمثيل ولا تشبيه ولاتكييف مع تفويض علم معرفة الحقيقة إلى الله، ومذهب الخلف تأويله بما يتفق هو واللغة والشرع والعقل ، والتأويل في مثل هذا سهل وقريب: أي على صفته من الحياة والعلم والسمع والبصر ونحوها.

وما استشكله الحافظ ونقله أبورية ليشكك القارئ في الحديث فلا اشكال فيه والحمدلله، فعمر الدنيا لا يقدر ببضع ألاف السنين ولابعشرات الألاف وإنما يقدر بملايين السنين، وإلى هذا ذهب الباحثون في علوم طبقات الأرض والأجناس والحيوان والطيور، فليس ببعيد أن يتناقض خلق ذرية أدم في هذه الأجال الطويلة حتى وصل إلى ما نحن علي الأن، وإذا كان الحافظ قد استشكل ذلك في عصره فلا محل اليوم للاستشكال بعد تقدم العلوم والمعارف، ويظهر لي أن الحافظ كان متأثرا في مقالته هذه بما يزعمه أهل الكتاب عن عمر الدنيا وأنه سبعة ألاف سنة وهو باطل ولاشك، وقد تبين له فيما بعد أن لاستشكال وأن عمر الدنيا أكثر من ذلك فقال

في أثناءذكر ما يستنبط من الحديث:(وفيه أن المدة التي بين أدم والبعثة المحمدية فوق ما نقل عن الإخبار بين من أهل الكتاب وغيرهم بكثير)(63)

على أنه يجوز أن يكون الحديث سبق لبيان فرط طوله من غير خصوص كونه ستين ذراعا فيكون المراد التكثير، ولعل مما يقوي هذا الفهم ما رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبي بن كعب مرفوعا(إن الله خلق أدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نحلة سحوق) ومن بعد ذلك كله فما هي الصلة التي بين موافقه ما رواه أبوهريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لما في التوراة وبين ما زعمه من أخذ أبي هريرة عن كعب الأحبار، وكعب لا صلة له بهذه القصة البتة.

(الحديث العاشر) قال: وروى البخاري في باب الدواء بالعجوة للسحر عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:(من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل) وفي رواية (سبع تمرات) وكذا لمسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعند النسائيمن حديث(العجوة من الجنة وهي شفاء من السم) ومعنى اصطبح: تناوله في الصباح على الريق.

أن المؤلف أعني أبا رية تابع في هذا الأستاذ أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) وهو تابع المستشير في هذا.

وإليك الجواب عن هذا الحديث:

1- إن العلماء القدامى أثابهم الله قالوا: المراد نوع من التمر وهو تمر المدينة، وأن العدد قد يراد به التكثير، ولاسيما أن لفظ السبعة يستعمل في هذا، كما قالوا: إن بعض الفواكه والثمار والنباتات قد يكون لها من الخصائص والأثار في تربة ما لايكون لها في تربة أخرى، وهذا الذي سبقوا إليه هو ما أيده العلم اليوم، فما المانع عقلا أن يكون لهذا النوع من تمر المدينة خصائص في إزالة السموم، وتقوية النفس والجسم ضد أثر السم والسحر؟ وليس لقائل أن يقول: فلنجرب بأن نعطي التمر لإنسان ثم نعطيه سما لنرى ماذا تكون النتيجة، لأن الحديث الشريف لم يحدد أي أنواع السموم هو المراد؟ فلنبحث حتى نصل إلى المراد، كما أحب أن أنبه إلى أثر

الطب النبوي في الروحية والنفسية، فمن أكل تمرا أو عجوة بهذه النية فسيحصل له من قوة الروح والبدن ما يزيل كا أثر لما يحتمل من سحر، ولا يخفى علينا أثر الإيحاء إلى النفس بالصحة أو المرض، وإن بعض الأشخاص ينجيهم من بعض أمراضهم قوة أرواحهم ويقينهم، وبعض الأصحاء قد يجني عليهم الوهم والخوف، والحديث من الأمور الغيبة التي يجب أن تذعن لها ما دمنا نعتقد أن الرسول حق وما جاء به حق، وما دام ثبت وصح بطرق الإثبات العلمي السليم.

2- إن الحديث يعتبر من المعجزات النبوية فقد الدكتور الكيماني محمود سلامة عن فائدة العجوة في مجلة(الدكتور) وأنها عامل قوي في دفع السموم من الجسم والتخلص منها كما كتب غيره في هذا مؤيدا للحديث فقلت: ياسبحان الله، لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا ولم يكن طبيبا ولا متطببا، وفي وقت لم تكن تقدمت فيه المباحث الطبية إلى إدراك هذا، الا فاعتبروا بااولي الأبصار!! فما رأى المعترضين على هذا الحديث فيمل قاله العلم اليوم في خواص للعجوة.

ولو أن بعض الأطباء المسلمين العباقرة اتجه إلى الطب النبوي كما ثبت في الصحاح، وبحث فيه بإيمان وصبر وجلد فكما كفيل أنه سيخلص للبشرية من ذلك بخير كثير، وسيظهر لنا الكثير من أسرار الإعجاز في هذه الأحاديث، فهل من مستجيب؟ نعم إن بعض الأطباء المؤمنين اتجه إلى هذا ونشروا فيه مقالات.

(الحديث الحادي عشر) قال أبو رية في أضواء على السنة المحمدية(ص213) عرض لأحاديث الدجال، وطعن فيها، واعتبر ظهور الدجال في أخر الزمان خرافة.

(الجواب): والعجب أنه ذكر في هذه الصحيفة بعض الأحاديث غير الثابتة كحديث كعب الأحبار، بينما أعرض عن الأحاديث الصحيحة الثابتة المروية من طرق عدة عن كثير من الصحابة في الصحيحين وغيرهما. ونحن لاننكر أنه

وضعت أحاديث في الدجال، وصفته ومتى يخرج، ولكنه مع هذا قد صحت فيه أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما.

وقد روى أحاديث الدجال البخاري ومسلم(64) وأفاضلهما في ذلك، كما روى أحاديثه غيرهما من أصحاب الأحاديث المعتمدة الموثوقة بها، حتى عد العلماء بتواتر أحاديث الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، فإن كانت أحاديث خروج الدجال متواترة فهي قطعية الثبوت، ولا مجال لإنكارها، وأن كانت صحيحة مشهورة ولم تصل إلى حد التواتر فالأحاديث الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول كأحاديث الصحيحين تفيد القطع في ثبوتها عند كثير من أئمة علم الحديث كابن الصلاح، وابن حجر وابن تيمية وغيرهم من جماهير العلماء سلفا وخلفا.

فأيا ما كانت أحاديث الدجال، فلا يجوز لمسلم أن ينكرها ولامجال للتشكيك فيها، وكون النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبر أنه من المحتمل ظهوره في عصره، ثم إخباره بأن ظهوره في أخر الزمان لا يكفي في الطعن في الروايات وتكذيبها لجواز أن يكون أوحى إليه بخبره وشأنه من غير تعيين لزمانه ففهم النبي صلى الله عليه وسلم جواز أن يكون في عصره، ثم بعد ذلك أعلمه الله أن ذلك سيكون في أخر الزمان قبيل الساعة.

وأذا كانت أحاديث الدجال لا مطعن فيها من جهة الرواية، وأنها وردت من طرق عدة تبعد عنها الشك والريبة، فإنها كذلك لا مطعن فيها من جهة المعنى والدراية، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أخر أنه سيكون هناك دجالون قريبا من ثلاثين، وأن أخرهم الدجال الأكبر ففي صحيح البخاري ومسلم(لا يقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة، وحتى يبعثدجالون قريبون من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله...)(65) ولأحمد والطبراني(لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا أخرهم الأعور الدجال)

وقد جاء الواقع مؤيدا لهذا الحديث كل التأييد فمن هؤلاء الدجالين من ظهر كمسيلمة والأسود العنسي في القديم، وغلام أحمد القادياني الذي ظهر ببلاد الهند

في العصر الأخير، ومنهم من سيظهر حتى يكون أخرهم الدجال الأكبر وهو الذي سيقتله عيسى عليه السلام.

وما دامت الأمور الغيبية ممكنة وأخبر بها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وجب الإيمان بها والتصديق، وليس لنا تحكيم العقل فيها لأنها من الغيوب التي هي فوق ادراك العقول.

(الحديث الثاني عشر) قال أبو رية: وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه :(إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأمين، إذا قضي التأذين أقبل حتى إذا ثوب- اقيم الصلاة- بالصلاة أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرأ ونفسه)(66) وقال العلماء المحققون في شرح هذا الحديث: لئلا يسمع فيظطر أن يشهد له بذلك يوم القيامة يقصد بذلك التهكم بهم.

(الجواب): ولا أدري وجه استشكاله لهذا الحديث؟ وهو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو من المغيبات، وإنما ينكر هذا الحديث وأمثاله من لا يؤمن بعالم الجن، وحكم من لايؤمن بهم معروف وهو كفر، لإنكاره ما ثبت بالقرأن، والحديث سيق مساق التمثيل والمجاز، وهو تصوير لشدة نفوره وإجفاله كراهة سماع الأذان، ومثا هذا التمثيل معهود في كلام العرب، ولو حمل الحديث على حقيقته فلا استحالة أيضا، فطبائع الجن وأنهم يأكلون ويشربون لا تأبى ذلك، وإبليس وأعوانه يروننا ولا نراهم، كما قال الله تعالى(إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) (67) وقد يطلع الله بعض أنبيائه على بعض أحوالهم وتصرفاتهم لحكم بالغة، وهذا من الأمور الغيبية التي إذا ثبتت عن معصوم وجب التصديق بها.

(الحديث الثالث عشر) قال أبو رية في أضواء على السنة المحمدية(174) وروى أبو هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة) وهذا القول رواه كعب إذ قال: أربعة أنهار الجنة وصفها الله عز وجل

في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة.

(الجواب): إن الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه صحيح في غاية الصحة وهو في صحيح مسلم بلفظ(سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة) والحديث ليس على حقيقته كما ذهب إليه بعضهم، وإنما الكلام على سبيل التشبيه، وأن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفتها وعذوبتها وكثرة خيراتها ونفعها للناس، وقيل: إن في الكلام حذفا، والتقدير من أنهار أهل الجنة ففيه تبشير من النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سينجز لهم وعده وسينصره وسيظهر له دينه على الأديان حتى يبلغ مواطن هذه الأنهار الأربعة وغيرها- إذ ذكرها على سبيل التمثيل لا الحصر- وهذا ما كان فام يمض قرن من الزمان حتى امتد سلطان الإسلام من المحيط الأطلسي إلى بلاد الهند، وأيا كان التأويل فالحديث مستساغ لغة وشرعا وقد كان الصحابة بذكائهم وصفاء نفوسهم وإحاطتهم بالظروف والملابسات التي قيل فيها هذا الحديث وأمثاله يدركون ما يريده النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذا الحديث الذي يشكل ظاهر على البعض، ولذلك لم يئثر عن أحد منهم- على ما كانوا من حرية الرأي والصراحة في القول- استشكال مثل هذا الحديث.

وأما ما ذكره عن كعب فقد عزاه إاى نهاية الأرب وهو لايعتمد عليه في ثبوت الأحاديث، وكلامه إن ثبت فهو محمول أيضا على النشبيه، وبقليل من التأمل يتبين لنا أن ادعاء تأثر أبي هريرة فيما رواه كعب بعيد، ولا يعدو أن يكون تظننا وتخمينا، فالحديثان متغايران والأقرب أن يكون كلام كعب تفسيرا لحديث أبي هريرة على ضوء ما فهمه من قوله تعالى(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير أسن وأنهار من عسل لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى...)(68)

(الحديث الرابع عشر) وبعد أن صب المستشرق على أبي هريرة رضي الله عنه ذنوبا من سفهه ورميه بالسذاجة والغفلة في كتابه المشهور قال: (وإليك مثلا من ذلك

نختم به ما نقله من الأحاديث التي رواها أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي في الحقيقة من الإسرائيليات حتى لايطول بنا القول)

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرؤوا إن شئتم وظل ممدود) ثم ذكر أن أبا هريرة لم يكد يروى هذا الحديث حتى أسرع كعب فصدق كلامه وذكر من أوصافها ما ذكر.

(الجواب): أن الحديث لم يروه الإمام أحمد فحسب بل رواه الإمامان الجليلان البخاري ومسلم في صحيحيهما (69) ولو أن الرواية كانت عن أبي هريرة وحده لجاز أن ينخدع بعض الناس بهذا القول، ولكن الحديث روي عن غير أبي هريرة من الصحابة الذين لا يعتبرون عند أبي رية ذوي سذاجة وغفلة كما زعم ذلك بالنسبة لأبي هريرة، فقد رواه البخاري عن أبي هريرة وأنس وعن سهل بن سعد، ومسلم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وأبي سعيد الخدري. فما رأيك ياباحث العصر في الثلاثة الأخيرين من الصحابة؟ هل استغفلكم كعب كما استغفل أباهريرة على ما زعمت؟

ومن يصدق أن الصحابة الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس، وضرب الله لهم الأمثال في التوراة والإنجيل كانوا إلى هذا الحد من السذاجة والغفلة؟ وصدقت الحكمة النبوية(إذا لم تستحي فاصنع ما شئت) (70)

ومن خياناته أن يجعل مرجعه تفسير بن كثير مما يوهم القارئ أن بن كثير يوهن الحديث بل يوجد في تفسيره بما يخالف قوله الباطل (فهذا الحديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عن أئمة الحديث لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله)

يا عجبا لأمر هذا الظالم! وصدق الله(ومن يظلل الله فما له من هاد)(71)

(الحديث الخامس عشر): أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لايريد الموت قال: إرجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن. قال: فسئل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة....)(72)

وقد وقع الخلاف بين العلماء لا سيما في عصرنا الحاضر في هذه الحديث، فمنهم من ينكره تقديما العقول على النقول الواردة الصحيحة لمخالفته ظاهرا للآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة.

وقبل الخوض في الردود شبهاتهم فالنشرع بإيراد استشكالاتهم الباطلة:

الحديث المذكور آنفا: يقولون : إنه لايقبل هذا الخبر حملا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لايتفوه بمثل هذا:

1- فينبأ هذا الحديث بأن نبي الله موسى عليه السلام عمر في حياته حيث رفض الموت حينما نزل به، لكن جائت الأية بأن أجل من قرب منه لايؤخر ساعة ولا يستقدم، ولايكون تغييرا في قدرة سبحانه وتعالى البتة. حيث صدق فيه قوله تعالى:(قل لاأملك لنفسي ضرا ولانفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(73) وقال أيضا (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)(74)

2- وعلى كل مؤمن أن يقبل كل ما قضى الله دون الرفض. ومن البدهي عقلا أنه لايكون من خصلة نبي رفض الموت والقرب لملك أرسله الله إليه. فمثل ذلك الأمر يسوق إلى الكفر، وأيضا يدل هذا الحديث وبعد ضربه عليه السلام إياه غير الله قدره

حيث أخر أجله- جل وعلا- على معنى خلاف للإلاهية فلابد لكل إنسان أن لايسلم هذا الحديث لتضمنه على أوصاف غير مناسبة لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام.

3- وشكى ذلك الملك إلى الله بأن موسى محبته على الحياة وسأل موسى ربه بما سيحدث بعد تعميره إياه في عمره. فيقول الرب بعده الموت. فيقول موسى إذا أمسك حياتي، فقال موسى بمعنى" لو كنت تؤتني حياة غير فانية فأتها" فيوضح هذا القول توضيحا بأن موسى كره الموت أشد الكراهة، ومن الخصلة لاتستحق لرسول أن يطمع على الحياة دون الموت عند قرب أجله، بل يقول الله تعالى بأن اليهود كانوا يحبون ذلك.. قال تعالى(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)(75) فالإنسان أولى الناس بالمعرفة بأن الحياة الأخرة لهي الحيوان، وأما الحياة الدنيا ففانية زائلة فلايكون نبي يختار حياة الدنيا التي فيها الميولات الزائلة والرغبات الواهبة، على الرغم أن الله-جل وعلا- جعل له عليه السلام فضلا ومحلا أسمى في الأخرة.

4- وإنما قال الفساق بتمزيق أعراض الأنبياء، هم مثل فرعون وأبي جهل وشيبة وعتبة ولم تكن لهم مبالات في أمور الأنبياء. فضربوا بالأخبار الإلاهية كلها عرض الحائط، حتى عذبوا رسل الله تعذيبا، فيكون موسى وفرعون في درجة واحدة لو ضرب ملك الموت حين جائه بالخبر الإلاهي. ولايتمثل نبي الله موسى عليه السلام كما كان الكفار الجبار المتكبر فرعون فلأنه كان عمدة الصبر.

5- وضرب موسى هذا الملك الذي جاء به بالخبر الألاهي" أجب لله" فينبأ هذا الخبر أنه عليه السلام قام بعمل يشوه هوية الملك فلاخلاف أن احتقار الملك الذي جاء به هو استهزاء بالله وملائكته وعليه أن يوجه محبته على الحياة عند الملك دون الإعراض فيصور هذا الخبر موسى أنه لطم هذا الملك حتى تقفأ عينه بشكل اللاإنساني ، فيخبر القرآن أنه لايكون عدوا لملائكته الا الكافر الفاجر(قل من كان

عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤنين)(76)

6- وكان عليه الصلاة والسلام قد عاهد إلى الله معاهدة جدية وتمثل من أحسن الناس أخلاقا فاضلة، وكان طاهرا نقيا من هذا الخبر السيئ. قال الله(واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا)(77)

وقال أيضا (ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)(78) وقال أيضا(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)(79)

فلا يزال أصحابنا الأفاضل يحتقرون نبي الله موسى بهذا الخبر السيئ ، كما كانت اسرائيل قذفته وآذته حتى كلمت نفسه تكليما.

7- فالملائكة أولى الخلق اقتناء بأمور الله- جل وعلا- جلها، فخلق هؤلاء الخلق أشد، فلا بد أن يكون من يقبض الروح شديدا، وعلى هذا المنوال جاء القرآن لكن يشعر هذا الحديث بأن هذا الملك رجع إلى الله مقتفأ العين عاجزا من قبض الروح، قال الله تعالى (لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)(80) وقال أيضا(ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النار والحجارة ....) (81)

لو كان الملك الذي وكل بقبض الروح يتعرض لضرب إنسان فكيف يكون بهذا الفعل، وهل هذا الملك كلن على الشكل الإنساني لتقفأ العين بضربة؟ وأيضا موسى أشد الناس من هذا اللملك؟ وقيل قبل وقوع هذا الحادثة كان الملك الذي وكل بهذا الأمر يأتي النبياء بشكل الإنساني حيث يراه هو وبعد فقأ العين من لطمه عليه الصلاة والسلام جاء الملك لايظهر على مرعى الإنسان قبضا الروح فورد هذا الخبر في مسند أحمد برقم 15484 وأما وصف الإنسان بالموارات عن أعين الناس خوفا من إيذائهم فوصف الملائكة بهذا الوجه يصور على أنهم حلوا محل الضعف، وخافوا في المذلة والضعف والهوان، فلاحاجة إلى من عنده قلب سليم إلى البحث الطويل عن هذا الخبر الذي يصورهم أذل الخلق من الناس.

الملك لله

وما الله- جل وعلا- الا معاتبا أنبيائه حين تزل أقدامهم في بعض الأمور اليسيرة مع الإشارة إلى أخطائهم انتباها عليها، فلما وجد نبي الله يونس عليه السلام على ربه كان محبوسا في بطن الحوت، وأيضا نزلت الأية في شأن عبد الله بن أم مكتوم الذي عبس وتولى عنه النبي صلى الله عليه وسلم حين استفهمه الأمور الدينية معاتبا لما فعل، ولم يكن الله أن يتخذ الأنبياء ولو شائبة الملك،أو أن يشتركوا فيه معه فما عاتب الله موسى لما فقأ عين الملك المقرب من الله الذي جاوز هذا العمل كل الحدود، بل لو آمن أحد بتعمير الله إياه في عمره لكان المعنى أن ترك سلطانه خوفا لموسى منه، فلايسمح أحدا للإشتراك في لمكه البتة، إذ أنه يجعل الله محل موسى، وموسى محله.

الجواب لهذه المناقشات بما يلي:

(1) أن هذه الحديث رواه الإمامان الجليلان البخاري ومسلم أورداه موقوفا عليه عن طريق طاووس، ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من طريق همام بن منبه، قال الحافظ : وهذا هو المشهور عن عبد الرزاق ، وقد رفع محمد بن يحي عنه رواية طاووس عنه، أخرجه الإسماعيلي فالحديث مرفوع لامحالة أما في رواية همام بن منبه فالأمر ظاهر، وأما رواية طاووس فلها حكم الرفع لأنه لا مجال للرأي فيه .

ورواه الإمام أحمد في مسنده : وليس في الحديث ما يستشكل وإنما يكون مشكلا لو أن موسى عليه السلام أنه ملك الموت، وأنه دافعه رغبة عن الموت، إذ مقام الأنبياء يتنزه عن ذالك.

(2) وفي الحق أن موسى عليه السلام ظنه عاديا يريد أن يعتدي عليه، فدافع موسى عن نفسه فأدت المدافعة إلى فقأ عينه، والدفاع عن النفس أمر مشروع في جميع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

وليس في الرواية ما يدل على أنه كان يعرف أنه ملك الموت وتشكل الملائكة بالصور الإنسانية امر معروف مسلم، وجاء به القرأن الصادق الذي لا يتطرق إليه الشك والإرتياب، وليس بلازم أن يعرف النبي أن المتشكل ملك، فقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام كما قص الفرأن الكريم في صورة أدمي ولم يعرفاهما، ولولا ذالك لما قدم لهم إبراهيم عليه السلام اللحم المشوي وقال: الا تأكلون، ولما خاف عليهم لوط من قومه، وليس أدل على أن سيدنا موسى عليه السلام لم يكن يعرف ملك الموت أولا، أنه جاءه مرة ثانية وعرف أنه ملك الموت وأن الله خيره بين طول الحياة أو قبض الروح أو اختار قبض الروح، والحديث صريح في هذا كل الصراحة، وقد سبق إلى هذا الإمام الكبير أبو بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازني، والقاضي عياض وغيرهما من علماء الأمة الذين جمعوا بين المعقول والمنقول.

ومما ينبغي أن الملائكة تتشكل، وأن الصورة لا تحكم على هيئتها الحقيقة، ففقئ موسى عين الملائكة لا يعود عليه بنقص في خلقته، وبما ذمرناه يزول عن الحديث أي إشكال.

(3) قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (82):((والجواب عن قصة موسى أن أجله قد كان قرب حضوره ولم يبق منه الا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتين، فأمر بقبض روحه أولا مع سبق علم الله أن ذلك لا يقع الا بعد المراجعة وإن لم يطلع ملك الموت على ذلك أولا))

(4) وقال أيضا: انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقئ عين؟ والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختيارا وإنما

لطم موسى ملك الموت لأنه رأى أدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقئ عين الناظر في دار المسلم بغير إذن.

(الحديث السادس عشر) أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل يوما فأطعمته فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت تفلي رأسه(83)

وقد رد بعض العلماء هذا الحديث بحجة أن هذا الحديث متناقض تمام التناقض مع الواقع المعهود في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العطرة وهي التورع والتحصن والتحفظ البالغ من ملاعبة النساء وملاطفتهن.

* وقال هؤلاء بأن في هذا الحديث إخلالا صريحا بكماله وبأنه مخالف لصريح القرآن وصريح سيرته، ومضمون الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أكثر التخلف إليها ويعود المقام في بيتها وأن أم حرام كانت تفلي رأسه مع كونها أجنبية له حيث وضع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه في" حجرها"! مع وقوع الملامسة بينهما.

وهذا محال في سيرته الطاهرة والذي أدى إلى المحال يستحيل صحة مخرجه (ولو في الصحيحين) ويؤكد ضعفه، ولو يثبت لدينا قرينة مبرهنة على ذلك.

وأما مخالفته للقرآن الكريم فقوله تعالى(أنك لعلى خلق عظيم)(84)

وقوله تعالى(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)(85)

وأما مخالفته للحديث ف" مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط"(86)

(الجواب): هذا الحديث لم يقل أحد من علماء المحدثين بضعفه بحجة هذه المبررات المتقدمة– فيما أعلم– ولكن وقع خلاف شديد في تفهيم مضمون هذا الحديث.

* وقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله(وفيه جواز قائلة الضيف في غير بيته بشرطه كالإذن وأمن الفتنة، وجواز خدمة المرأة الأجنبية للضيف بإطعامه والتمهيد له ونحو ذلك..... وفيه خدمة الضيف بتفلية رأسه)(87)

* وقال الإمام بن عبد البر: أظن أن أم حرام بنت ملحان أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أختها أم سليم فصارت كل منهما أمه أو خالته من الرضاعة فلذلك كان ينام عندها وتنال منه ما يجوز للمحرم أن ينال من محارمه. وساق بسنده إلى عيسى بن إبراهيم بن مزين قال: إنما استجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تفلي أم حرام رأسه لأنها جده كانت منه ذات محرم من قبل خالاته لأن أم عبد المطلب جده كانت من النجار، ومن طريق يونس بن عبد الأعلى قال: قال لنا بن وهب: أم حرام إحدى خالات النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فلذلك كان يقيل عندها وينام في حجرها وتفلي رأسه. وقال بن الجوزي صاحب(الموضوعات): سمعت بعض الحفاظ يقول: كانت أم سليم أخت أمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

* وحكى بن العربي ما قال بن الوهب، ثم قال: وقال غيره بل كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما يملك إربه عن زوجته فكيف عن غيرها مما هو المنزه عنه وهو المبرأ عن كل فعل قبيح وقول رفث. فيكون ذلك من خصائصه. ثم قال: ويحتمل أن يكون ذلك قبل الحجاب.

* ورد عياض بأن الخصائص لا تثبت بالإحتمال، وثبوت العصمة مسلم، لكن الأصل عدم الخصوصية، وجواز الإقتداء به في أفعاله حتى يقوم على الخصوصية دليل.

* وبالغ الدمياطي في الرد على من ادعى المحرمية فقال: دهل كل من زعم أن أم حرام إحدى خالات النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أو من النسب وكل من أثبت لها خؤلة تقتضي محرمية لأن أمهاته من النسب واللائي أرضعنه معلومات ليس فيهن أحد من الأنصار البتة، سوى أم عبد المطلب وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. وأم حرام هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر المذكور، فلا تجتمع أم حرام وسلمى الا في عامر بن غنم

جدها الأعلى وهذا خؤلة لا تثبت بها محرمية لأنها خؤلة مجازية. وهي كقوله لسعد بن أبي وقاص "هذا خالي" لكونه من بني الزهرة، وهم أقارب أمه أمنة وليس سعد أخا لأمنة لا من النسب ولا من الرضاعة، ثم قال: وإذا تقرر هذا فقد ثبت في الصحيح أنه كان لا يدخل على أحد من النساء الا على أزواجه الا على أم سليم فقيل له فقال: إرحمها قتل أخوها معي، يعني حرام بن ملحان، وكان قتل يوم بئر معونة.

* يقول الإمام بن حجر العسقلاني: أنهما أختان كانتا في دار واحدة منهما في بيت من تلك الدار، وحرام بن ملحان أخوهما معا فالعلة مشتركة فيهما وإن ثبت قصة أم عبد الله بن حرام التي أشرت إليها قريبا، فالقول فيها كالقول في أم حرام وقد انضاف إلى العلة المذكورة كون أنس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه ورفع الحشمة التي تقع بين الأجانب عنهم.

وقال الدمياطي: على أنه ليس في الحديث ما يدل على الخلوة بأم حرام، ولعل ذلك كان مع ولد أو خادم أو زوج أو تابع.

وقال بن حجر في(فتحه)(88): وهو احتمال قوي لكنه لا يدفع الإشكال من أصله لبقاء الملامسة في تفلية الرأس، وكذا النوم في الحجر وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية ولا يردها كونها لا تثبت الا بدليل، لأن الدليل على ذلك واضح.

(**الحديث السابع عشر**) أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما (89) عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس تبنى سالما وأنكحه بنت أخيه هندا بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة كما تبنى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا، أن سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشي، جائت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إنا نرى سالما ولدا وقد أنزل الله فيه ما قد علمت... وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جائت سهلة بنت سهيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم، وقال النبي أرضعيه فقالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير، فتبسم رسول الله فقال: قد علمت أنه رجل كبير.

وقد رد العلماء هذا الحديث لشبهات واهية. هي:

(1) فادعائهم أنه ضابط لحصول علاقة الرضاعة. وهذا الحديث يدل على أن ارضاع المرأة رجلا فهي تصير به أما له، فنقول بأنالانسلم هذا الحديث لمخالفته ولمعارضته للأيات القرأنية وللأحاديث الصحيحة السمحة، فحد الله سبحانه وتعالى سنتين لحكم الرضاعة منذ الولادة، فتبين الأيات التالية عدم حصول علاقة الرضاعة للمجاوزة هذا الحد المذكور:

1- قوله تعالى:(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (90)

2- قوله تعالى:(ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولواديك)(91)

فتحمل الأم ولدها على الشكل الإنساني ستة أشهر وأيام الإرضاع له أربعة وعشرون شهرا تعني سنتين فيوضح- جل وعلا- بأنه ثلاثون شهرا، بمقارنة هذه الستة الأشهر بأربعة وعشرين شهرا، وكيف من المتوقع من وقوع اقرار النبي صلى الله عليه وسلم للإرضاع في سالم رغم أن البراهين السابقة أوضحت على شكل جلي؟

3-قال الله تعالى:(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم)(92)

يمنع ديننا الإسلام تمام المنع من لفت الرجل نظره إلى امرأة أجنبية. لكن جائت هذه القصة بأن سهلة رضي الله عنها أرضعت سالما فمن البشاعة والشنيعة امتصاص الرجل من موضع المرأة السري دون المشاهدة إليها، فجماة وقعت هذه القصة تدمر قوانين الإسلام ونظامه، ومن تجرأ على التصديق لقصة سالم فوجب أن يصدق أنه عليه الصلاة والسلام أرشد إل هتك هذه الأية الكريمة فيلتزم المسلمون بأمور تعني في الحجاب حيث بالنظر إلى الأديان الأخرى أنها لم ترشد إلى مثل تلك الأمور الملتزمة بها واجبا. فتغطية المرأة على جيوبها وحي من الله سبحانه وتعالى ، ويشعر لنا لسان هذه القصة بأنه فلا حاجة إلى الإلتزام بالحجاب حين إرضاع كل من حب ودب. ولم تكن هذه القصة بدا من مؤامرة أعداء الإسلام الذين أرادوا تشويهه وتمزيق هويته منذ

البزوغ، وليس سالما طفلا لا يرضى بفراق أمه، وهو رضي الله عنه ممن هضم ما يهضمه الرجل، ومن الذين تزوجوا. فكيف نقول أن هذا الصحابي لايستطيع لكف نفسه من الذبهاب إليها. اضطر هذا الصحابي الجليل لهدم قواعد القرأن الكريم وقوانينه ومن مستطاعه أن يعيش منفردا في بيت مجاورة بيت سهلة رضي الله عنها، أتتنا امرأة بمثل هذه القصة فلا نفتي لها بالإرضاع دون الإلتزام بالحجاب ، وقولنا شيئا أنه تجرأ على فعله مصطفى صلى الله عليه وسلم حيث لن نفعل مثل هذه الأمور الشنيعة أنه يوجب التشويه والمذلة لهوية النبي صلى الله عليه وسلم.

4–قال الله تعالى:(ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله)(93) أما الأولاد المتبنون فلا يكونون أبدا أولاد الصلب بل يجب أن نتخذ هؤلاء أصحاب الإتقاد وإخوان الإسلام وأن نراعي الأمور عند المتبنى كما نراعيها في كل شيئ عند الأجانب، ولم تفصل هذه الأية الا هذا المعنى، لكن قصة سالم يوعي الإنسان جواز اتخاذ الولد المتبنى كولد الصلب، اعراضا عن هذه الأية الكريمة، وتشعر تشريعا غير سبيل الله، فلذلك أشار البعض إلى أنه من السائغ في الإسلام جعل الحرام حلالا مكيدة. ولم تكن حياته صلى الله عليه وسلم الا القرأن، وما تجرأ البتة على الإعراض عنه، وتعلم هذه القصة التزام نظام لم ترشد هذه الأية السابقة، فإذا فلن نقبل أبدا، ويعلم هذ الحديث اتيان رجل إلى امرأة أجنبية عاديا كما يأتي الولد أمه، ولو فتحنا هذا الباب المعارض للقرأن أنه يكون سببا لفشو الزنا في المجتمع الإسلامي، فإنه لم يعبر عدم حصول الود والعشق بشغاف القلب من إرضاع المرأة رجلا بالغا الا من صغر عقله وضعف باله. وهذه السبل تسوق شباب المسلمين إلى الفساد والردى.

(2) معارضة هذا الحديث للأحاديث الصحيحة الأخرى:

فليست هذه القصة تهدم الأيات القرأنية فقط بل هي من حيث النظر إلى الأحاديث الصحيحة تكون معارضة لها، فيبين الحديث الصحيح التالي على أن الرضاعة لا تحصل الا في السنتين الأوليين من الولادة:

1-أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها رجل فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت :إنه أخي، فقال: (انظرن أخواتكن فإنما الرضاعة من المجاعة)(94)

فإنه من المعروف لا يذهب جوع الطفل الا لبن الأم والذين تجاوزوا هذا الحد من الأطفال يطلبون أشياء أخرى من الأطعمة دون اللبن، فنعلم أن هذه السنتين فيها يتغذى جوعا، وذات يوم ظهرت الكراهة وعدم الرضى برجل جلس وراء إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه، ولما قالت عائشة أن الذي جلس وراء حولها أخ من الرضاعة فأجاب عنها النبي " انظرن من أخواتكن من الرضاعة" فلابد من اعتبار هذا القول فلا يكون الطفل أخا بإرضاعه الأم فمتى أرضعته فهل شرب منها حولين المذكورين، أم بعدها. فإن كان أرضعته الأم فإنه يعتبر أخا، فإن كان الإرضاع بعد هذا الزمن الذكور فلا يكون أخا بالرضاعة. فعلينا أن لا نصاحبه كما نصاحب إخوتنا الصلب بمجرد شرب اللبن بالإعتبار. وهذا القول الذي حذر به النبي صلى الله عليه وسلم زوجته منه.

2- أخرج الإمام الدارقطني في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا رضاع الا ما كان في الحولين)(95)

3- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا يحرم من الرضاعة الا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام)(96)

فيوضح هذان الحديثان أنه لا تحصل الرضاعة الا في الحولين ظلهرا فلا بد على كل مسلم من معرفته أن قصة سالم من الواهية الكاذبة لمعارضته للأيات القرأنية والأحاديث الصحيحة.

(الجواب):

1- أما حكم الرضاعة للبالغ فهي مما استأثر به سالم فقط ، وهذه القصة استثيت من الأية التي تدل على أن الرضاعة إنما تحصل في الحولين، فعلى هذا فلا تكون المخالفة بين هذه الأية وهذه القصة.

2- ولم يرد شيئ في الحديث أن سالم إمتص من ثدي سهاة رضي الله عنها. با وردت القصة بإرضاعها فقط. ففهموا من هذا الحديث أنها لم ترضعه بل شرب منها سالم تجنبا من المخالطة. وبهذا القول قال الغمام النووي في شرحه لكتاب مسلم. وقال:(وحملوا حديث سهلة على أنه مختص بها، وسالم. وقد روى مسلم عن أبي سلمة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: أنهن خالفن عائشة في هذا . والله أعلم)(97)

وهذان القولان السابقان قال بهما من رأى صحة هذا الحديث توقيفا مع اللة الصحيحة الصريحة. فأما القول الأول فأنا في حالة الإعراض عنه، يعني استأثار سالم بهذه القصة. لأن الإعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لعدم ورود نص صريح يدل على خصوصيته بسالم. وذهب إلى هذا القول الشيخان الجليلان بن حزم الظاهري والشيخ الألباني -رحمهما الله-.

أخطائهم الطارئة في أفهامهم العارية

1- غلطهم في فهم الأية الكريمة(والوالدات يرضعن أولادهن....)الأية، وقوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا...)الأية. وهاتان الأيتان السابقتان تدلان دلالة واضحة على أن الرضاعة إنما تحصل في الحولين لمن يريد الإتمام به. وأيام الرضاعة في الحولين. فلاخلاف بيننا وبين من في وادي الأخر في ترجمة هاتين الأيتين، وإنما الخلاف في تفسير هذه الأية أعني الأية الأولى على أن من أراد إتمام رضاعة ولده فترضعه أمه حولين كاملين. والأية الثانية مفدها أن الحد المذكور الحولان. فليس للشك فيه مجال، وقالوا مستدلين بهاتين الأيتين إنما تحصل الرضاعة في الحولين فقط، لابعده بمفهوم هذه الأية، ومن الأسف أن هؤلاء العلماء قد زلت أقدامهم في فهم الأيتين(لأن الله لم يجعل العصمة على أحد) فنزلت هذه الأية على الولد دون الكبير بالنظر إلى

الأدلة الأخرى من الأحاديث الصحيحة، فقصة سالم ذكرت جواز الإرضاع لمن كان في السن الكبي. وتدل أيضا على عدم وجود علاقة بينهما وبين هذه الأية، إذ الأية قد ذكر في الصغير دون الكبير. فالقصة تحكي جواز الإرضاع للكبير. وأيضا فهموا من هذه الأية عدم جواز الإرضاع وعدم حصوله بعد الحولين، فهذا المفهوم هفوة هفت به ألسنتهم، فمفهوم هذه الأية يدل على أن من لم يرد إتمام الرضاعة يجوز له مجاوزة الحد المذكور فحده سبحانه وتعالى الحولين إنما يكون على سبيل الإرشاد لا على سبيل الحصر بالنظر إلى أهمية نشأة هذا الولد. فإرضاع الأم ولدها بعد الحولين لايكون فيه مخالف للأية القرأنية لمن تدبر.

2- والقول الثاني: قوله تعالى(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم....) الأية. واستدلوا بهذه الأية على مخالفة قصة سالم وسهلة بنت سهيل، وقالوا منع الإسلام تمام المنع أن ينظر الإنسانإلى امرأة أجنبية فكيف من المتوقع أن سالما إرتشف من ثدي سهلة رضي الله عنها، وأنزلوا الأية غير محلها وأفتوا كما هوت أنفسهم الخاطئة، فنسألهم فكيف تفسرون قصة سالم بأن معنى الإرضاع هوالإرتشاف المباشر فالإرضاع ربما يكون عن طريق الحلب دون المباشر كما قال الإمام القاضي الحسين:(لعلها حلبته، ثم شربه من غير أن يمس ثديها ولاالتقت بشرتاهما)(98)

وصوروا هذه القصة بتصاوير فاحشة تدمر هذا الحديث تدميرا، والقول الصحيح هو ما ذهب إليه الإمام النووي والقاضي الحسين في شرح مسلم. والله أعلم.

3- وحديث عائشة" إنما الرضاعة من المجاعة" يؤيد معنى هذا الحديث حديث أم سلمة" لايحرم من الرضاعة الا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام" وهذان الحديثان فيهما بيان أن الرضاعة إنما تحصل لمن شرب في حال المجاعة حيث يشبع به. فقالوا أيضا بحديث" لاتحرم المصة ولا المصتان، لكن ما فتق الأمعاء"(99) واستدلوا بظاهر مثل هذه الأحاديث على أن الرضاعة إنما تحصل من المجاعة، وأثاروا شبهات في أنم سالما كيف يشبع من لبن سهلة رضي الله عنها لأنه في سن كبير؟ وقالوا أيضا: هذا يخالف الحس والحديث أيضا.

فنجيبهم بأن الحديث" إنما الرضاعة من المجاعة" مما قيل في الصغير دون الكبير. لأن الذي في سن الكبير لا يشبع أبدا بلبن الأم. وليس ما يأتي منها ماء بل لبن، فالحس لايقبل ذلك أبدا، فكيف يعبر به النبي صلى الله عليه وسلم على خلاف قوله، فنفهم من الحديث المذكور السابق إنما هو مما عبر فيمن كان في سن الصغير دون الكبير، فقصة سالم هذه مما تتعلق بمن في سن الكبير. والله أعلم

وخلاصة ما ذكرنا: فليس مجال لتضعيف ولتوهين هذا الحديث بمجرد تقديم العقل الضعيف على النقل الصحيح العادم من الخلاف. وهذا الحديث مما تلقته الأمة بالقبول جيلا بعد جيل من غير خلاف الا من شذ من العلماء. ومع هذا فلا يخالف الأدلة الأخرى مما أوردوها، إنما ملأوا وعائهم بشبهات واهية وإثارة أسئلة بالية. والله أعلم.

مسألة: حكم من رد الحديث الصحيح

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فقد كان الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، ومصداق ذلك قوله تعالى(وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى)(100) فقد أمر الله تعالى باتباع رسوله وطاعته فقال الله(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)(101)، وحذرنا من مخالفته صلى الله عليه وسلم فقال(وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)(102) ، وجعل ذلك أيضا من أصول الإيمان فقال(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)(103) وفرض على المؤمن طلعته لأنها من طاعة الله فقال(من يطع الرسول فقد أطاع الله)(104)

فهذه النصوص تدل دلالة قاطعة على أن الله أوجب اتباع رسوله فيما شرعه وأن السنة مصدر تشريعي لأحكام المكلفين. ولذلك وقع الإتفاق بين أهل العلم على أن من أنكر حجية السنة بشكل عام، أو كذب حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم

أنه من كلامه فهو كافر، لم يحقق أدنى درجات الإسلام والإستسلام لله ورسوله، وإليك بعضا من أقوال أهل العلم في هذه المسألة:

* قال الإمام اسحاق بن راهويه- رحمه الله-:- من بلغه عن رسول الله خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر.

* وقال السيوطي :- اعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولا كلن أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى أو من شاء من فرق الكفرة.(105)

* وقال العلامة بن الوزير:- التكذيب لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العلم أنه حديثه كفر صريح.(106)

الهوامش:

1- سورة النجم : آية – 10

2- سورة الحجر: آية- 9

3- سورة آل عمران : 31

4- رواه الإمام أبو داود

5- مسند أحمد : رقم الحديث 4497

6- جامع العلوم والحكم : (ص 286)

7- سلسلة الأحاديث الصحيحة : رقم الحديث 732

8- سلسلة الأحاديث الضعيفة : رقم الحديث 1085

9- مسند أحمد : 4\228

10- مسند أحمد : 25\ 456

11- جامع العلوم والحكم : (287)

12- صحيح مسلم : رقم الحديث 5320

13- صحيح البخاري: باب كتابة العلم، رقم الحديث 111

14- صحيح البخاري : باب عاهد ثم غدر، رقم الحديث 3179، ومسند أحمد : رقم الحديث 615 بتحقيق أحمد محمد شاكر.

15- أسد الغابة : 3\ 50

16-

17- مسند أحمد

18- جامع بيان العلم لابن عبد البر : 1\64

19- فتح الباري شرح صحيح البخاري : 1\245

20- هدي الساري مقدمة فتح الباري : 559

21- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى : 1\ 259

22- هدي الساري مقدمة فتح الباري : 56

23- هدي الساري مقدمة فتح الباري : 572

24- سير أعلام النبلاء : 8\ 301

25- صحيح البخاري : رقم الحديث 292

26- صحيح البخاري : رقم الحديث 1513، ومسلم : رقم الحديث 3251

27- صحيح البخاري : رقم الحديث 1447

-28

29- صحيح البخاري : رقم الحديث 1488، ومسلم : رقم الحديث 1555

-30

31- صحيح البخاري : رقم الحديث 1345

32- صحيح البخاري : رقم الحديث

33- صحيح البخاري : رقم الحديث 1513

34- صحيح البخاري : رقم الحديث 2877، ومسلم : رقم الحديث 1912

35- صحيح البخاري : رقم الحديث 4677، ومسلم : رقم الحديث 2769

36- صحيح البخاري : رقم الحديث 2996

37- صحيح البخاري : رقم الحديث 3350

38- صحيح البخاري : رقم الحديث 3396، ومسلم : رقم الحديث 165

39-

40- صحيح البخاري : رقم الحديث 3512، ومسلم : رقم الحديث 2520

41- صحيح البخاري : رقم الحديث 2704

42-

43- صحيح البخاري : رقم الحديث 4196، ومسلم : رقم الحديث 1805

44- صحيح البخاري : رقم الحديث 4341، 4342

45- صحيح البخاري :رقم الحديث 4743

46- سورة الحج : آية – 19

47- صحيح البخاري : رقم الحديث 5037

48- صحيح البخاري : رقم الحديث 4568

49- صحيح البخاري : رقم الحديث

50- صحيح البخاري : رقم الحديث 986

51- أضواء على السنة المحمدية : ص 176

52- صحيح البخاري : رقم الحديث 6502

53- صحيح البخاري : رقم الحديث 5782

54- سورة النجم : آية – 3-4

55- سورة الفرقان : آية – 8،9

56- سورة الإسراء : آية – 47-48

57- أضواء على السنة المحمدية : ص 123

58- تفسير ابن كثير 5\ 143

59- دفاع عن السنة بشيئ من الإختصار : ص76

60- سورة الإسراء : آية – 1

61- صحيح مسلم : رقم الحديث 7386

62- سورة المائدة : آية – 48

63- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني : 6\7

64- صحيح البخاري : رقم الحديث 3608 ، وصحيح مسلم : رقم الحديث 84

65- صحيح البخاري : رقم الحديث 3609 ، وصحيح مسلم : رقم الحديث 157

66- صحيح البخاري : رقم الحديث 608 ، وصحيح مسلم : رقم الحديث 389

67- سورة الأعراف : آية – 27

68- سورة محمد : آية – 15

69- صحيح البخاري : رقم الحديث 3251 ، وصحيح مسلم : رقم الحديث 2826

-70

71- سورة المؤمن : آية – 33

72- صحيح البخاري : رقم الحديث 3407، وصحيح مسلم : 4375

73- سورة يونس : آية – 49

74- سورةالمنافقون : آية – 11

75- سورة البقرة : آية – 96

76- سورة البقرة : آية – 97

77- سورة مريم : 51

78- سورة الأحزاب : آية – 69

79- سورة الأحزاب : آية – 7

80- سورة الأنبياء : 67

81- سورة التحريم : آية – 6

82- فتح الباري شرح البخاري : 6\ 537

83-

84- سورة القلم : آية – 4

85- سورة النور : آية – 30

86-

87- فتح الباري شرح البخاري : 11\ 80

88- فتح الباري شرح البخاري : 11\ 82

89- صحيح البخاري : رقم الحديث 5088، وصحيح مسلم : رقم الحديث 1453

90- سورة البقرة : آية – 233

91- سورة لقمان : آية – 14

92- سورة النور : آية – 30

93- سورة الأحزاب : آية – 5

94- صحيح البخاري : رقم الحديث 5102

95- سنن الدارقطني : رقم الحديث 4318

96- جامع الترمذي : رقم الحديث 1152

97- شرح صحيح مسلم للنووي : 10\ 674

98- شرح صحيح مسلم للنووي : 10\ 274

99- سنن الدارقطني : رقم الحديث 4322

100- سورة النجم: آية – 1

101- سورة الحشر : آية – 7

102- سورة الأحزاب : آية – 36

103- سورة النساء : آية – 65

104- سورة النساء : آية – 80

105- مفتاح الجنة في الإحتجاج بالسنة

106- العواصم والقواصم

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد:

فبفضل من الله ورحمته أتممت هذا البحث الصغير- قدر استطاعتي- الذي يجد فيه القارئ الجواب المقنع لمن ينكر الأحاديث الثابتة في صحيح البخاري ومسلم- رحمهما الله- على الرغم أنهما تلقت الأمة بالقبول.

والأجدر بالذكر هنا أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذا البحث العلمي هي كما يلي:

1- أن السنة لم تدون كامل التدوين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عصر الصحابة. ولكن قد جمع كثير من الأحاديث على يد بعض الصحابة أمام النبي الكريم.

2- أن النهي عن كتابة السنة كان في أول الأمر، ثم نسخ هذا النهي بالأحاديث الدالة على جوازه. مثل إذنه لعبد الله بن عمرو بن العاص وغيره من الصحابة.

3- أن الإعتناء بتدوين السنة كان في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله. ثم تكاثرت المؤلفات في هذا الفن.

4- حياة الإمام البخاري- رحمه الله-، حيث كرس أوقاته النيرة في طلب الحديث رغم كونه يتيما.

5- فضائل صحيح البخاري، حيث يشيد العلماء الأجلاء بجهود الإمام البخاري في تصفية الأحاديث الصحيحة من السقيمة.

6- حياة الإمام مسلم، حيث نشأ منذ نعومة أظفاره حول العلماء في طلب العلم.

7- فضائل صحيح مسلم، حيث بذل الإمام مسلم فيه جهوده الكثيفة في تنقيح الأحاديث.

8- هناك أحايث ثابتة في الصحيحين أنكرها العلماء- نادرا- بالنظر إلى السند، ولكن تجد تحت كل الأحاديث المنكرة الجواب الكافي.

9- بعض من يزعم أنه من العلماء قد أنكروا بعض الأحاديث الثابتة في الصحيحين مدعيا أنها يعارض العقل.

10- يجد قارئ هذا البحث الصغير حكم من يرد الأحاديث الصحيحة الثابتة عمدا أو غير ذلك – بأنه كافر.

وأسأل الله تعالى أن ينفع كل من يقرأ هذا البحث نفعا كاملا، فالمطلوب ممن يستفيد من هذا البحث الصغير أنه إذا وجد فيه أخطاء، وزلة قدم، وغيرها من الأخطاء التي تنقص قيمة البحث فليبادر بتصحيحها بأحسن وجه، لأنني كطالب يجب عليه أن يتقن في اللغة العربية، وكذا أنا عارف جدا بقلة بضاعتي. فما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل الصغير مخلصا لوجهه الكريم لارياء، ولاسمعة، وأن يجمعنا في كل خير وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.

بقلم الفقير إلى عفو ربه

رفقي بن صادقين.

الإنتهاء: 1431| 12| 30 هـ

الموافق: ل 05\12\2010 م

فهرس المراجع والمصادر

* هدي الساري مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (الطبعة الأولى لمكتبة الصفا بالقاهرة)
* طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى.
* سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (الطبعة الأولى لمكتبة الصفا بالقاهرة)
* صحيح مسلم للإمام أبو الحجاج مسلم النيسابوري (الطبعة التاسعة لدار المعرفة ببيروت)
* صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (الطبعة الأولى لدار إحياء التراث العلمي ببيروت)
* مسند أحمد بتحقيق أحمد الشاكر (الطبعة الأولى لمؤسسة الرسالة ببيروت)
* أسد الغابة لابن الأثير الجزري (الطبعة الثانية لدار المعرفة)
* جامع بيان العلم لابن عبد البر.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (الطبعة الأولى لمكتبة الصفا بالقاهرة)
* إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني (الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ببيروت)
* تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي (الطبعة الخامسة لدار طيبة بالرياض)
* أضواء على السنة المحمدية لأبي رية.
* تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير للإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (الطبعة الأولى لدار السلام للنشر والتوزيع بالرياض)
*دفاع عن السنة لمحمد بن محمد لأبي شهبة (الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة)

* الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (الطبعة الأولى لدار الجيل ببيروت)
* نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ببيروت)
* سنن الدارقطني لأبي عمرو الدارقطني (الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية)
*شرح مسلم لمحيي الدين شرف النووي (الطبعة التاسعة لدار المعرفة ببيروت)
* جامع الترمذي لأبي عيسى الترمذي (الطبعة الأولى لمكتبة المعارف)
* جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (الطبعة الأولى لمكتبة الإيمان)
* سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني (الطبعة الأولى لمكتبة المعارف)
* سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الألباني (الطبعة الأولى لمكتبة المعارف)
* سنن أبي داود لسليمان بن أشعث السجستاني (الطبعة الأولى مكتبة المعارف)
* بعض الكتيبات الإسلامية باللغة التاملية لعباس علي الهندي

فهرس الأعلام

* **ابن عبد البر** : هوالإمام الحافظ أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المالكي، الفقيه المحدث، برع في العلم، وله مؤلفات كثيرة في كل فن. منها : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وجامع بيان العلم، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام. وتوفي رحمه الله سنة 463هـ .

***ابن كثير** : هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي عماد الدين أبو الفداء الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه الشافعي، محب ابن تيمية، من مصنفاته : البداية والنهاية، تفسير قرآن العظيم. توفي - رحمه الله – سنة 774هـ (تفسير ابن كثير)

***ابن حجر العسقلاني** : شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي. صاحب أشهر شرح لصحيح البخاري، أصله من عسقلان بفلسطين، ومواده ووفاته بالقاهرة. عالم محدث فقيه أديب وله بالأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير، ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي، رحل إلى اليمن، والحجاز، وغيرهما لسماع الشيوخ، وصارت له شهرة كبيرة. قصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره. ولما حضرت العراقي الوفاة قيل له من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابني أبازرعة، ثم الهيثمي. توفي- رحمه الله- 852هـ (مقدمة فتح الباري) ***العز بن عبد السلام** : هو سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الدمشقي، قرأ الفقه على ابن عساكر. ومن مصنفاته: سبل السلام. توفي- رحمه الله- سنة 660هـ.

* **عائشة** : هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر تزوجها رسول الله بمكة وهي بنت ست ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة وتوفيت سنة 57هـ (الوافي 397)

* **عبدالله بن مسعود** : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي سادس ستة في الإسلام وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحد، وشهد له رسول الله بالجنة. وتوفي سنة 32هـ (تهذيب الأسماء واللغات 2\403)

* **الدارقطني** : هو الإمام المجود، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان البغدادي، من أهل محل دار القطن ببغداد. وكان حافظا ثقة متقنا توفي- رحمه الله – سنة 385هـ.

أحمد بن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله المروزي ، ولد في البصرة سنة ثمانية وستين ومائة ، وقد جمع علما واسعا بالحديث والرجال ، وقد أثنى على حفظه كثير من الأئمة .يقول أبو زرعة " كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث فقال ما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب ، وقال إبراهيم الحربي : رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين وقد طاف في البلاد والآفاق . وقد كان الإمام الشافعي على جلالة قدره في الحديث والفقه يعمد الإمام أحمد في تصحيح الأحاديث وتضعيفها ولذلك لما اجتمع به في بغداد سنة 198 قال له : يا أبا عبد الله ! إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به أذهب إليه حجازيا كان ، أو شاميا ، أو عراقيا ، أو يمنيا ، وعمر أحمد إذ ذاك نيف والثلاثون سنة . وهو ممن امتحن في مسألة خلق القرآن : فأبى كل الإباء فضرب وحبس سنة 220 في عهد المعتصم بالله ، وقال علي بن المديني : " ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل ، وقد توفي- رحمه الله - سنة 241 .